روايات مصرية للجيب

32

فانتازيا

فى مملكة الأخوين

Looloo

www.helmelarab.net

د. أحمد خالد توفيق

مقـدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لا تتغيّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جميعًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

1 ـ هدية غريبة ..

فى العاشرة صباحًا ذهب (شريف) إلى متجر الأدوات الصحية ، حيث يعمل أخو (عبير) .. حيَّاه بكلمة عابرة ، ثم ترك له هدية غريبة بعض الشىء كى يسلمها لـ (عبير) ..

قبل أن يفتح الأخ شفتيه كان (شريف) قد انطلق بسيارته (الدسمة) إياها ، التى لا يمكنك أن تعرف طرازها أبدًا ..

وفى البيت فتح الأخ الصندوق ، فكان ما وجده جديرًا بالاهتمام فعلاً ..

إن الأخ لم يتوقع أن يجد داخل الصندوق هدية ذات قيمة ما .. بل إنه استعد للتخلص فورًا من لفافة المخدرات التى سيجدها ـ حتمًا ـ بالداخل ، والتى هى ورطة أعدها له (شريف) على سبيل الانتقام ، بينما رجال مباحث

المخدرات ينتظرون لحظة الهجوم .. هذه هى طبائع الأشياء ، وهكذا تسير الأمور .. إنه ليس فتى الأمس كى يخدعه هذا الفتى الرقيع الذى أحبته أخته وتزوجته ..

لكن ماوجده فى الداخل كان يفوق كل قدراته على التخيل .

يوجد كمبيوتر وشاشة وبعض الأسلاك ..

قالت الأم شيئًا ما عن وقاحة بعض الناس ، وقال الأخ شيئا عما جلبه الغراب لأمه ، لكن كانت أمام (عبير) بضع ساعات حتى تصحو من نومها .. إنها قد تحولت إلى وطواط حقيقى يقضى الليل فى القراءة ، وطفلتها كذلك تسهر معها ، وهكذا يطلع الصباح على الأثنين وقد غابتا عن الوعى حتى الظهيرة ..

عمل ؟ ربما لم تجد .. وربما لم تكن جادة تمامًا فى البحث ..

عند الظهيرة ستصحو (عبير) ، ولسوف تجد الكمبيوتر المألوف بما عليه من برنامج حبيب .. عندها ستتساءل عن السبب الذى دفع (شريف) إلى خطوة كهذه ..

الاحتمال الأول بالنسبة لنا هو أن (شريف) قد بدأ يحاول أن يجمع طرفى خيط الوداد المقطوع .. ربما سيحال بشكل ما ..

أن يصنع عقدة كيفما اتفق .. هذا وارد ولا أستبعده كثيرًا .

الاحتمال الثانى هو أن (شريف) يريد التخلص من كل مايمت لها بصلة .. حتى أداة الأحلام الجاهزة الخاصة بها .. إن الأزواج لأسباب كهذه قد يهشمون مزهرية ثمينة أو يعطون مجموعة من الثياب غالية الثمن لأول متسول يقرع الباب .. هذا احتمال آخر وارد ، ولا أدرى ما يمنعنى من رفضه ..

الاحتمال الثالث إنسانى جدًا ... إنه نوع من الرفق بالحيوان .. نوع من البر بالشخص الذى آذيته بعنف .. هو لايريدها لكنه لن يبخل عليها بهذه اللمسة الأخيرة من الشفقة .. هى لاتقدر على الحياة من دون (فانتازيا) ، وهو لايحمل لها ضغينة ما .. لماذا لايتصرف كشخص ناضج ويقدم لها ماتريده ؟

هذا احتمال آخر لابأسٍ به أبدًا ، وإننى لأجد أن موقف (عبير) عسير حقًا .. محاولة الفهم لأمر لايمكن فهمه هى نوع من العذاب المستمر .. الأسوأ ألا يكون (شريف) نفسه يعرف ..

ولكن دعونا من الأسباب ولنناقش النتائج ..

* * *

قال أخوها وهو يتحسس الشىء بيده المضمدة دومًا :

- «كم يساوى هذا ؟ هذه الأشياء غالية الثمن على ما أعتقد .. أراهن على أنه يمكن بيعه بمائة جنيه على الأقل .. »

صفرت الأم بشفتيها المجعدتين ، وقالت :

- «أنت تمزح .. هذا الجهاز مستعمل .. من يشتريه منك بمائة جنيه ؟»

قال وهو يقلب الكمبيوتر كأنما هو يتفحص دجاجة بياضة :

- «(سعيد) هل تعرفينه ؟ إنه ذلك الفتى الذى عنده (مكنة) .. إنه يفهم فى هذه الأشياء .. »

لسبب ما يصر أخوها على أن يطلق لفظة (مكنة) على أية دراجة بخارية .. وكل أصدقائه اسمهم (سعيد) .. وهو ينطق (سعيد) بطريقة حلقية تضغط على حرف (العين) ، وينطق الياء بطريقة

تجعلها أقرب إلى حرف (الألف) .. لكن هذه الأمور لاتهم .. لأنها خرجت من حجرتها فى هذه اللحظة ، والطفلة على كتفها ، وانتزعت يده من على الجهاز :

- «هذا لن يكون .. هذا الكمبيوتر ملكى أنا ..»

قال لها فى ضيق وهو يشعل لفافة تبغ :

- « يا سلام ! ومنذ متى لاتستطيعين الحياة من دون (كمبيوتر) ؟»

شد ما أنت وحيدة حائرة بين طبقتين يا (عبير) ! زوجك - الأمير الوسيم القادم من عالم الأحلام - تخلى عنك ، وطبقتك هذه لاتشعرين بأى انتماء لها .. لاتتحملين كلامها ولا أصواتها ولا آراءها فى الحياة .. طبقة فوقك ليست جنة على الإطلاق .. وطبقة أنت منها تشعرين بأنك تنتمين لمكان يختلف عنها ولو قليلاً ..

حائرة أنت .. تعسة أنت ..

لنقل إن قراءاتك أعدتك لعالم آخر لاوجود له .. عالم لاتصلحين إلا له .

أنت مواطنة فى عالم (فانتازيا) .. هذا هو مكانك الوحيد ، ومن دونه أنت عاجزة للأبد عن التأقلم ..

(فانتازيا) حيث تجسر النسور وحيث يحلم النمل الأخضر لو كان تعبير كهذا موفقًا ..

ومن دون كلمة أخرى لفت ذراعها الطليقة على علبة القرص الصلب وحملتها إلى حجرتها ..

لو كان هذا هو ما بقى لها من عالمها فهى تعرف كيف تنتفع به ..

* * *

كان يعمل بشكل جيد .. وخطر لها أن هذا الجهاز هو اعتذار من (شريف) الذى لم يجد قط التعبير عن نفسه ببراعة .. نعم .. كل هذه الأسلاك والوصلات هى لفظة (آسف) لا أكثر ولا أقل ..

وكانت مرهقة عصبيًا كمدمن شاى لم يلمس كوب شاى منذ يومين .. الحقيقة أنها لم تزر (فانتازيا) منذ زمن ، ومنذ كانت مع (أدهم صبرى) فى عالمه

الجاسوسى إياه .. والحقيقة أيضًا أن كلام المرشد كان دقيقًا : الأحلام الجميلة لاتزورنا لمجرد أننا نريد ذلك ، بل تزورنا عندما تريد هى ..

مدت يدها وبحثت عن القابس .. قامت بعمل وصلة معقدة من سلك وجدته هناك مكون من خمسة أسلاك قديمة تم توصيلها بشريط لاصق .. ثم ضغطت على زر التشغيل ، وبدأ الهدير .. الجهاز يسترد كينونته وذاكرته ويعرف بدقة أين هو ومن هو ..

لابد أن صدمة مروعة دهمته وهو يرى الحجرة الضيقة الفقيرة ، ولابد أن فكرة الخطف جالت بذهنه الإلكترونى للحظة .. ثم رأى (عبير) فاطمأن .. لابد أنها تعرف ماتفعله ..

جلست أمام الجهاز .. ونظرت إلى ركن الغرفة لترى الطفلة نائمة فى سلام تحلم ..

(حيث يحلم النمل الأخضر وتجسر النسور) ..

ثبتت الأقطاب على رأسها وأخذت شهيقًا عميقًا ..

اليوم ستحلم ..

اليوم تذهب هى بقوة التكنولوجيا إلـى (فانتازيا) بدلاً من أن تنتظر حتى تتعطف عليها ..

وغدًا يوم آخر ..

★ ★ ★

2 ـ فى مملكة الأخوين ..

الآن هى تقف فى السـهل الـذى وقفت فيـه مـرارًا من قبل ، والقطار المضحك قادم من بعيد على مهل ، كأنه ترام عتيق فى شوارع القـاهرة أو (سـوارس) التى لم ترها قط لكنها قرأت عنها ..

المرشد البغيض ثقيل الظل يقترب منها فى تؤدة .. الغريب أنه ثقيل الظل إلى درجة تجعله فاتنًا .. يقـول السرياليون : إنـك لو حدقت فى شىء ما لفتـرة طويلـة فإنه يكتسب أهمية خاصة ، وتشعر بأنك تحتاج إليـه .. هكـذا كـان المرشـد .. دعك مـن أنـه البـواب الـذى يقودهـا إلـى عـالم (فانتـازيـا) المكـان الوحيـد الـذى تشعر بأنها تنتمى إليه حقًا ..

كان من دأبها أن تراقب الحياة كأنهـا حلم ، فلـو أن قنبلة ذريـة هبطت على شارعهـا لوقفت غير فاهمة

غير قادرة على التفاعل ، لكن فى (فانتازيا) تشعر بأن كل شىء يخصها ويهمها ..

قال لها وهو يلوح فى الهواء :

- «مرحبًا يا (أليس) .. لم نرك منذ دهر .. »

ابتسمت فى ارتباك وتمنت ألا يسألها عن أمورها الشخصية ..

لحسن الحظ لم يفعل :

- «إلى أين اليوم .. » ؟

- «أرنى ما فى جعبتك .. »

فكر حينًا وهو يتفحص وريقة أخرجها من جيبه :

- «كنت قد أعددت بعض الأفكار .. ولكن .. هل تحبين المذابح ؟ هل تحبين مشاهد قتل الأطفال وبقر بطون النساء و ... »

صاحت وهى تركل الأرض فى عصبية :

- «يا لك من أحمق ! من قال لك إننى سادية

مريضة ؟ قتل أطفال ؟؟ هل تنوى زيارة الجنرال (شارون) وطاقم السفاحين المحيطين به ؟»

- «ليس إلى هذه الدرجة .. ما كنت لأختار لك برنامجًا بهذه البشاعة » .. وعاد يتأمل الورقة .. «عالم العلاقات الأسرية المتفسخة فى الجنوب الأمريكى .. إن مسرح (تنيسى وليامز) سوف ... »

- « حرام عليك .. إن لدى من العلاقات المتفسخة فى عالمى ما يكفى ست أسر .. »

ثم نفخت فى غيظ ، وقالت :

- « هؤلاء الكتاب مجانين .. »

قال باسمًا :

- « ليس هذا جديدًا .. ولهذا قال الأقدمون إن الفنون جنون .. يمكنك أن تفكرى فى الأمر على أن الأديب والمريض العقلى شخصان يذهبان إلى النهر .. أحدهما يغرق ويختفى للأبد ، والآخر يجيد السباحة ويعود سالمًا .. النهر هو نهر الجنون ..

والأديب يغطس فيه ثم يخرج إلى بر العقل ليكتب ما رآه .. بينما المريض العقلى يهوى إلى القاع .. »

ـ « لا أفهم ما تقول ..

ـ « لا عليك .. هذا التعبير قاله العالم النفسى العظيم (يونج) تلميذ (فرويد) للكاتب الشهير (جيمس جويس) الذى أصيبت ابنته بالجنون .. قال الكاتب فى ذهول إن ابنته تقول ما يقول وتفعل ما يفعل ، فكيف نتهمها بالجنون ولانتهمه هو ؟ عندها ذكر له (يونج) هذا التشبيه البارع .. »

وصمت قليلاً .. ثم بدت عليه الحيرة ، وراح يمزق قطعًا من الورقة فى عصبية :

ـ « هل تحبين الأميرات والأمراء المسحورين والساحرات الشريرات و .... »

ـ « يبدو هذا مغريًا .. ماذا عندك بهذا الصدد ؟ »

لم يرد عليها وأشار إلى القطار ليقف ، وقال فى هم وهو يجد السير :

ـ « يجب الإسراع إذن .. إن المملكة فى الجانب الآخر من (فانتازيا) .. إنه مشوار شاق لكنه يستحق .. »

ـ « مملكة ؟ عم تتحدث بالضبط ؟ »

وثب إلى القطار ثم مد يده يساعدها ، وقال وهو يلهث :

ـ « ستفهمين الآن »

★ ★ ★

وما ستفهمه هو أنها تدخل إلى عالم من المروج الخضراء .. خضرة أكثر اخضرارًا من الخضرة ذاتها ، وطواحين متباعدة .. خراف شديدة الاكتناز ترعى ، وأبقار من تلك التى ترى صورها على علب السمن الهولندى وعلب اللبن المجفف .. فلاحات متوردات الوجوه يحملن السلال على الرءوس ، ويضربن الأرض بتلك النعال الخشبية التى تراها فى القصص .. سماء شديدة الزرقة لا ينقصها إلا أن ترى قرص الشمس يضحك ..

من بعيد بيوت ذات سقوف منحدرة من القرميد الأحمر ، ومداخن يتصاعد منها دخان لا يلوث الجو ، وفطائر موضوعة فى النوافذ لتبرد ..

الخلاصة أنه جو أقرب إلى صورة ملونة فى قصة أطفال .. قصة أطفال كلاسية عتيقة ..

هى لاتذكر أنها رأت هذا الجو إلا فى زيارة سابقة لعالم (ديزنى) الساحر .. لكن الطابع العام يختلف .. قصص (ديزنى) لها طابع أمريكى لاتخطئه العين ، أما هنا فطابع أوروبى .. ربما يعود إلى القرن الثامن عشر ..

أين هى ؟ هل ما زالت فى (فانتازيا) أماكن كهذه ؟

الحق أن المشهد فتنها وراح قلبها يتواثب فى صدرها طربًا ..

قالت للمرشد وهى توشك على الوثب من نافذة القطار :

- « لماذا لاننزل هنا ؟ »

- « إن وجهتنا هنا .. لكنك لن تبدئى من هذه النقطة .. »

هنا كان القطار يدخل شارعًا كئيبًا يغمر الضباب جوانبه ، وكانت هناك برك من المطر على جانبى الإفريز . ووجوه كئيبة تنظر لهما فى فضول . لابد أن منظر قطار يمشى فى شارع هو مشهد غريب بعض الشىء ، حتى لسكان (فانتازيا) أنفسهم ..

قالت فى خيبة أمل :

- « لماذا تخليت عن ذلك المشهد الجميل من أجل العودة للكآبة ؟ »

- « هذه هى البداية .. »

- « وأين أنا ؟ »

قال فى ضيق وهو يجذب حبل القطار ليقف :

- « يا له من سؤال .. أنت فى ألمانيا طبعًا .. لاأعرف مكانًا آخر فى العالم يمكن أن ترى فيه كل هذا الحشد من لفظة Der .. وكل هذه الكلمات طويلة المقطع على اللافتات .. »

ثم أشار لها إلى مبنى أكثر كآبة يتوسط الشارع الكئيب :

ـ « أتمنى لك حظًا سعيدًا .. »

نظرت إلى المبنى محاولة فهم ما تقوله اللافتة الألمانية ، فلم تفهم .

عادت تسأله :

ـ « ما هذا المبنى بالضبط ؟ ولا تقل لى : ظننت هذا واضحًا ، كما هى عادتك .. »

قال فى لا مبالاة :

ـ « ظننت هذا واضحًا .. إن هذا المبنى هو قسم الشرطة طبعًا .. ماذا كنت تتوقعين ؟ »

★ ★ ★

3ـ التحدى ..

مغامرة حالمة تبدأ فى قسم الشرطة .. يبدو هذا غريبًا بعض الشىء حتى فى (فانتازيا) ..

المهم الآن أنها صارت صحفية ألمانية .. مرارًا فى فانتازيا كانت (عبير) صحفية ، وهو سبب يمكن فهمه .. لنفس الأسباب كان (سوبرمان) صحفيًا هو الآخر فى شخصيته السرية ، إن للصحفى مزية الاطلاع السريع على كل المصائب حيث تحدث ، ويمكنه أن يدخل كل مكان ويسأل أى شخص .. هيبة الإعلام تعطيه مزية طرح أسئلة لو وجهها سواه لتلقى لكمة فى أنفه ..

كانت (عبير) تدرك أنها ألمانية ، وأنها فجأة صارت تجيد الألمانية كأنها (جوته) نفسه .. وكالعادة ـ صار هذا مملاً ـ كانت شقراء جميلة ..

تدخل إلى قسم الشرطة الذى هو معاصر جدًا .. هناك لصوص وضباط وهراوات ورجال شرطة يحملون أجهزة اللاسلكى وشباب من الذين يتظاهرون طيلة اليوم ضد العولمة دون جدوى ..

الآن تعرف وجهتها فتتجه إلى مكتب المفتش (بليتز) أو (القوميسير) كما يترجمونه أحيانًا .. تدق الباب وتحيى الرجل فى عجلة ، ثم تجلس واضعة ساقًا على ساق فى ثقة ..

كان المفتش بدوره رجلاً ألمانيًا صميمًا ، وكان بدينًا جدًا حتى إنك تشعر بأنه سيصاب بنوبة قلبية فى أية لحظة .. أضف لهذا أن سحرها الذى لايقاوم جعله مرتبكًا موشكًا على الاختناق ..

سألها وهو يعقد أصابعه :

- « هل تبدئين اليوم يا فرويلاين (باومان) ؟ »

قالت فى ثقة :

- « طبعًا .. »

كالعادة لم تكن تعرف ما هذا الذى يجب أن تبدأه ، لكنها كانت مصممة على أن يبدأ اليوم ، وانتظرت باقى المحادثة ليتضح كل شىء .. إن التعامل فى (فانتازيا) كالحلم .. لاتعرف ما هذا الذى يدور فى ذهنك أنت نفسك حتى تخرج الكلمات من شفتيك ..

قال لها :

- « قرأت مقالك .. أنت تتحاملين علينا .. »

- « أكره اتهام الأبرياء .. »

- « ولهذا عدت ؟ »

- « نعم من أجل الرهان .. »

ما هذه المحادثة السخيفة ؟ هى لاتفهم حرفًا وتتمنى لو فهمت .. لكن لاشىء فى الكلام يدل على شىء ..

قال لها المفتش وهو يصب لنفسه مشروبًا ما سميكًا غليظًا فى كوب (من العسير أن يعرف هؤلاء القوم المغات لكنه يبدو كذلك) :

- « سنساعدك على الدخول بنفسك إلى عالم الأخوين (جريم) وهناك يمكنك أن ترى بنفسك .. هذان الرجلان يفتقران إلى الأصالة ويتمتعان بميول نازية .. لهذا بدأنا نصادر كتبهما .. »

الآن بدأت الأمور تتضح .. لكن من هما الأخوان (جريم) ؟ إنها تذكر هذا الاسم ، لكنها لا تذكر شيئًا سواه .. واضح أنهما مؤلفان ، وأنهما متهمان بشيء ما .. ماذا يكتبان ؟ هل يكتبان موضوعات إلحادية أم إباحية أم سياسية متطرفة ؟

هنا جاءتها الإجابة على لسانها هى نفسها :

- « كل هذا الكلام عن كاتبين لقصص الأطفال ؟ »

هنا تذكرت كل شىء .. الأخوان (جريم) الألمانيان العبقريان اللذان صنعا كل ذلك العالم الساحر الذى تحكيه الأمهات لأطفالهن قبل النوم ..

ليس الاتهام لكتاب الأطفال بغريب ، فهى تذكر قصة (ديزنى) والقتلة الذين كانوا يحاولون اغتيال



ما هذه المحادثة السخيفة ؟ هى لا تفهم حرفًا وتتمنى لو فهمت !

(بطوط) أو (دونالد) .. والسبب هنا أن أبطال ديزنى مبشرون ينشرون الثقافة الأمريكية فى كل مكان .. وبسببهما عرف الأطفال معنى العولمة قبل أن يبتكر المفكرون السياسيون هذا المصطلح ، وقبل أن يكتب (فوكوياما) مقال (نهاية التاريخ) النازى إياه .. لِمَ لا ؟ ألم تمنع الصين ـ حقيقة ـ دخول (بطوط) باعتباره عميلاً للمخابرات الأمريكية ؟

كل هذا يمكن فهمه .. لكن ما التهمة التى تحيط بسمعة كاتبين جميلين مثل الأخوين (جريم) ؟
قال المفتش وهو يفك ربطة عنقه ليحرر المزيد من الشحم الحبيس :

- « هذه هى نقطة خلافنا .. إن الأطفال تربة خصبة تصلح لبذر أى معتقد . قل لطفل فى قصصك إن الشمس تشرق من الغرب ، ولسوف يصير مستحيلاً أن تقنعه بالعكس حين يكبر .. ثم إن هذه ليست التهمة الوحيدة .. قلت لك إنهم لا يتمتعون بالأصالة .. كل قصصهم اشتقاقية ، ولها أصول ما عند الفلاحين هنا .. »

- « هذه ليست تهمة إلى هذا الحد .. (شكسبير) لم يكتب عملاً أصيلاً فى حياته .. »

- « لكنهم ليسوا (شكسبير) .. »

ثم وضع كوب (المغات) الذى يمسك به ، وضرب المنضدة بقبضته :

- « الأمر سهل .. أنت تقولين إننا مجموعة من الأوغاد الذين لا خلاق لهم ولا عمل إلا أن يدمروا عبقريين عظيمى الموهبة ، وأنا أقول لك إن الأمر سهل .. لقد أعددنا كل شىء كى تدخلى عالم الأخوين (جريم) وتحققى فى كل شىء .. لو برهنت على أنك محقة سنحنى رءوسنا فى تواضع .. ولو برهنت على أنك مخطئة ستكتبين مقالاً يعيد لنا الاعتبار .. وهو ما أعرف أنك ستفعلينه حتمًا .. »

ثم فكر قليلاً وأضاف :

- « لربما اضطررت أحيانًا إلى التدخل فى القصص ، وربما وجدت بعض رجالنا هناك .. إنهم يراقبون

الأحداث بدقة .. الرقابة .. الرقابة .. بعبع المانعين الراغبين فى حرية بلا قيود ، لكنى أجدها من ضرورات المجتمع .. ضعى ثلاثة رجال على جزيرة ولسوف يتكون مجتمع وقانون ورقابة .. »

قالت (عبير) فى شمم وقد بدأت الصورة تتضح أمامها :

- « سأفعل .. وسأجد أننى على حق .. »

ضحك فاهتز ذقنه المزدوج ، ثم سرت الارتجاجات الشحمية إلى أعلى صدره فبطنه .. لابد أن أصابع قدميه ارتجت بعد قليل فى الحذاء ، ثم قال :

- « ليكن .. والآن يمكنك البدء .. إن الملازم (دانييل) سوف يساعدك فى الوصول إلى الغابة .. كل الغابات مخيفة كما تعرفين ، والغابات الألمانية تعج بالذئاب .. »

وفى خبث أردف :

- « هناك من العلماء النفسيين والنقاد من يفترض

أنها ذئاب مجازية لا حقيقية .. وهذه نقطة أخرى تجعلنا نتهم الأخوين (جريم) بعدم الأخلاقية .. »

- « أنتم مجموعة من المخابيل تتظاهرون بأنكم لستم كذلك .. لا أمقت شيئاً مثل التذاكى .. »

- « ربما .. لكننا لا نترك شيئاً للصدفة .. »

ودون كلمة أخرى غادرت (عبير) الغرفة ..

* * *

الملازم (دانييل) هو شخص نحيل فارع القامة ، من الطراز الذى يبتلع ريقه كلما مرت ثانية ، وقد مد لها كفه فى رفق كى يقتادها إلى عالم الأخوين ..

قالت له :

- « هل ستبقى معى هناك ؟ »

- « لا .. سأضعك على أول الطريق .. وأول الطريق هو بلدة (هاناو) قرب (فرانكفورت) حيث ولد الأخوان .. لكن هناك نقاطاً يجب أن تعيها .. هذا عالم

تبدأ فيه كل قصة بـ (كان ياما كان) أو Once upon a time وتنتهى بـ (وعاشوا فى تبات ونبات) أو They lived happily ever After .. هكذا فى كل اللغات .. دارسو الأدب فى العالم الغربى يطلقون عليها اسمًا عامًا هو (ميرخين) وهى لفظة ألمانية تعنى (القصص الخيالية) . أما فى أمريكا فيسمونها (قصص جاك Jack Tales) ، وهو ما معناه أن بطل القصص يكون اسمه (جاك) على الأرجح .. »

ارتجفت وهى تتذكر القشعريرة الجميلة التى كانت تشعر بها وهى طفلة ، حين كانت تحت الغطاء الدافئ مع أمها ؛ لتقول لها الأم : « كان يا ما كان يا سادة يا كرام .. ولا يحلو الكلام .. إلا بذكر النبى عليه الصلاة والسلام .. »

- « عليه الصلاة والسلام .. »

بصوت الطفلة المرتجف قليلاً .. المتلهف شغفًا وفضولاً وخوفًا .. فلا تنس أن أغلب هذه القصص مرعب ..

ولم تظل متيقظة قط حتى تسمع نهاية القصة : «وعاشوا فى تبات ونبات .. وخلفوا صبيان وبنات .. »

كانت أمها آنئذ شابة جميلة نوعًا و- الأهم - رائقة المزاج ، لاتنتمى لتلك العجوز الطيبة التى رسم كل هم وكل قرش ناقص علامته التى لاتمحى على وجهها .. حتى إنها نسيت كيف يبتسم الناس ..

طبعًا لم تكن الأم تحكى لها قصص الأخوين (جريم) ، ولكنها كانت تحكى لها عن الغولة والشاطر (حسن) وبنت السلطان و .. و .. ولو قال أحد دارسى الأدب للأم إنها تحكى (ميرخين) لماتت من الرعب ..

سيكون عالمًا ساحرًا ..

أو المفترض أن يكون ..

* * *

4 ـ يمكنك الذهاب إلى الحفل ..

كان يا ما كان ..

كانت الآن على ركبتيها ..

ليس هذا مجازًا بل هو الحق بعينه .. كانت راكعة على ركبتيها منهمكة فى تنظيف البلاط بالفرشاة .. ماء الغسيل حولها فى كل مكان والدلو الخالد .. ماذا جرى ؟ إنها خادمة أو أقرب إلى الخادمة .. هل هذه (فانتازيا) فعلاً ؟

يا للحظ التعس الذى يجعل حتى أحلامها نوعًا من تنظيف البلاط ..

★ ★ ★

الآن تدخل المرأة الشريرة .. وقد اعتدنا أن تكون المرأة الشريرة حسناء أو على الأقل ناعمة كالأفعى ،

لكن هذه المرأة كانت شريرة قلبًا وقالبًا .. التعالى والغباء والغرور وضيق الأفق كلها رسمت على وجهها تلك السمات التى يصعب أن تصفها ما لم ترها ، حتى صارت إلى الحلوف البرى أقرب .. الجبهة الضيقة والعينان الصغيرتان المتلاصقتان والفم الغليظ السمج ..

بقدمين كبيرتين تمشى على ماء الغسيل وبالتالى تلوث كل شىء .. ثم تقف فوق رأس (عبير) وتنظر لها نظرة نارية ، توطئة لأن تصيح :

- « يا لك من حمقاء !! »

رأتها (عبير) منَ أسفل وكأنها هرم كما يحدث فى السينما مع لقطات التسلط أو السيطرة .. نظرت لها بعينين لا تفهمان ، فعادت المرأة تصيح :

- « يا لك من حمقاء !! »

ثم ظهرت فتاتان شريرتان .. نعم .. إننى أعنى ما أقول .. حين ترى فتاتين شريرتين فى هذا العالم ،

فأنت تعرفهما على الفور .. ذلك القبح الغبى .. وتلك الثياب المبهرجة التى لاتنسجم على الإطلاق ، والتعالى الأحمق .. الآن بدأت (عبير) تدرك أن هذه القصة مألوفة .. لاشك فى هذا ..

- « قلت لك أن تنظفى الردهة يا (سندريللا) .. ولكن ما أراه يقول إنك كسول .. كسول إلى حد لايوصف .. كل شىء قذر .. كل شىء متسخ .. »

وكببغاوين تصايحت الفتاتان :

- « كل شىء قذر .. كل شىء متسخ .. »

- « من العسير أن يجد المرء خادمة ذات ضمير .. »

تصايحت الفتاتان :

- « فعلاً .. فعلاً .. هذا عسير .. »

(سندريللا) .. هذا هو الجواب .. وهذه هى زوجة أبيها الشريرة وابنتاها المزعجتان .. طبعًا (عبير)

لاتعرف أن زوجة الأب كانت هى الأم فى الإصدارات الأولى من القصة ، ثم قرر الأخوان (جريم) أن يجعلاها زوجة الأب فى محاولة لجعل القصة أكثر تهذيبًا وقبولاً أسريًا .. لقد عرف الأخوان ما نسميه اليوم قيم (الترفيه المنزلى Home entertainment) قبل أن تظهر (ديزنى) للوجود بعقود كثيرة ..

هى إذن (سندريللا) .. الحسناء المعذبة التى تتسلى الشريرات الثلاث بتعذيبها ، وإخراج ميولهن السادية عليها ، وهذا لايخلو طبعًا من حقد لأنها أجمل من الفتاتين بمراحل .. ثم يجىء التعويض فى صورة الأمير الجميل الذى يهبط عليها كالحلم و ... الحفل والحذاء .. إلخ ..

لكن (عبير) تعرف أن (فانتازيا) لاتتصرف كما هو مفترض أو متوقع ، لذا واصلت التنظيف فى اجتهاد وقررت أن تنتظر لترى ..

- « أنت قبيحة جدًا .. »

قالتها إحداهن لها ، وهى تجرب أمام المـرآة قبعة شديدة القبح كأنها متجر للخضر فى السوق ..

وقالت الأخرى وهى تلطخ وجهها بمساحيق جعلتها كهنود (الشيين) :

ـ « لن تحضـرى الحفـــل معنـا .. لانجـرؤ على اصطحابك .. »

. ثم إن الفتاتين راحتـا تتسليان بخنق بعض القطط الصغيرة ، وفقء عيون الضفادع ، وما إلى ذلك من الأنشطة اليومية تزجيان بها الوقت .. لـم لا ؟ أليستا شريرتين ؟

كانت (عبير) قد فرغت من تنظيف الأرضية وتلقى الإهانات ، فنهضت حاملة الدلو .. وكان حقد لابأس به نحو الشريرات قد نما فى روحها .. لو كانت لديها بندقية آلية فهى تعرف ماستصنعه بها خلال دقيقة .. وتذكرت طفولتها ..حين كانت تكره هاته النسوة إلى حد مروع ، وقد كانت لديها قصة مصورة يظهرن فيها وهن يتهكمن على (سندريللا) ، من ثم شوهت وجوههن فى الصفحة ثم مزقتهن شر تمزيق بالمقص ..

كان المطبخ واسعًا كئيبًا مسود الجدران ، فافترشت الأرض جوار الموقد ، وراحت تبكى .. ليس من الحزن ، بل لتكمل الصورة الجميلة التى ترى نفسها فيها ..

كان هناك فأر صغير يزحف على الجدار فأجفلت .. لكنه اقترب منها فى هدوء .. فأر قوى الشخصية لايخلو من حكمة .. وأدركت على الفور أنه يتكلم ..

ـ « أنت .. أنت تتكلم ؟ »

ابتسم فى ثقة لو كانت الفئران تبتسم ، وقال بصوت جدير بالفئران :

ـ « طبعًا .. يجب أن توطنى نفسك على عالم الأخوين (جريم) .. هنا لايوجد حيوان لايتكلم ، ولا يوجد موقد أو شمعة أو براد شاى لايعبر عن نفسه فى طلاقة .. لكن يجب هنا أن أذكر أننى لم أوجد فى القصة الأصلية .. أنا إضافة من إضافات (ديزنى)

العديدة .. لقد كانت ستوديوهات (ديزنى) من أهم المتحمسين لقصص الأخوين (جريم) ، ولسوف تجدين فى أمريكا مجموعة من المجانين بعالم (جريم) ربما أكثر ممن تجدينهم فى أوروبا كلها .. »

قالت شاعرة بسخفها وهى تجرى حوارًا ثقافيًا مع فأر :

- « تشرفنا .. »

- « كما تعرفين أنت تلعبين هنا دور (سندريللا) .. زهرة الرماد .. لكن قصة (سندريللا) ليست من بنات أفكار الأخوين (جريم) .. بل هى ليست أسطورة شعبية ألمانية أصلاً .. إنها عالمية .. هناك نحو 300 نسخة من ذات القصة لدى كل شعوب الأرض ، ويغلب الظن أن أصل القصة صينى .. »

بدا عليها الاهتمام .. إن هذا يتفق إلى حد ما مع المفتش البدين ..

- « هل تعنى أنهما سرقا القصة ؟ »

- « ليس بالضبط .. إن جمع الفولكلور الشعبى وتنسيقه ليس سرقة وإلا لاعتبرنا السير (والتر سكوت) أو (زكريا الحجاوى) لصين .. وعلى كل حال لن نستبق الأحداث .. لنعد إلى تمثيل دورنا .. أنت الآن حزينة جدًا لأن الخنزيرات الثلاث ذاهبات إلى الحقل الذى يقيمه الأمير .. »

- « يا سلام ؟ ومن هو الأمير .. »

- « وكيف أعرف ؟ إنه أمير من أمراء القصص .. لا يفعل شيئًا من أى نوع سوى أن يتزوج البطلة الفقيرة .. منبهر حالم النظرات لأربع وعشرين ساعة .. وحياته كلها مجموعة من الحفلات والمواكب والمآدب .. لو تعاملنا معه بالمفهوم المادى لقلنا إنه شاب (صايع) لو سمحت لى بالتعبير ، لكنه فى القصص يمثل غاية المراد من رب العباد .. باختصار هو نموذج لفارس الأحلام فى خيال كل فتاة ، ولا أشك لحظة فى أن جواده أبيض .. هكذا تسير الأمور .. إن ارتباط خيال الفتيات بالجواد الأبيض لأمر شبه مقدس .. »

ـ « هل لابد من أمير فى كل قصة ؟ »

وثب على كتفها فلم تجفل ، وقال :

ـ « تقريبًا .. هذه القصص لاتعترف للرجل إلا بمهن الأمير والحطاب الفقير والساحر والغول .. بينما الفتاة خادمة أو راعية إوز أو ساحرة .. »

هنا دوى صوت .. ففر الفأر على الفور كأى فأر يحترم نفسه ، وظهرت المرأة الضخمة كالكابوس على مدخل المطبخ .. مرتدية ماتعتقد ـ لسبب ما ـ أنه يجعلها فاتنة .. قالت لـ (عبير) فى اشمئزاز :

ـ « نحن ذاهبات إلى حفل الأمير .. والويل لك إن لم تنامى الآن .. تذكرى : أنت فقيرة ضعيفة ونحن ثريات شريرات شديدات البأس .. »

وانفجرت ضاحكة ، ثم غادرت المكان ..

وفى سرها خطر لـ (عبير) أن هذه المرأة لاتعرف اللون الرمادى .. إنها الأسود الصافى تمامًا .. وهى

لاتتورع عن الإدلاء بعبارات تقريرية كان يمكن الاستغناء عنها .. وهو ماسيثير حفيظة أى ناقد أدبى يجيد عمله ..

الآن هى وحيدة ..

الآن يجب أن تبكى ..

وقد فعلت ..

* * *

لكن من الذى دخل إنه لم يكن تلك الجنية الطيبة ..

كانت (عبير) تذكر الصورة جيدًا .. هى تبكى فى الظلام جوار الموقد ، ثم يظهر ضوء غريب أزرق ، وتنتثر النجوم الصغيرة .. وتظهر تلك الجنية الطيبة الوديعة حاملة عصاها ، وتغير كل شىء بلحظة ..

لكن لم تكن هذه التى دخلت هى الجنية .. كانت عجوزًا طيبة لكنها أرضية جدًا لو طلبت رأيى .. مجرد امرأة أخرى ترتدى ثياب العصر .. تضع قلنسوة بنية وعباءة من نفس اللون ..

ـ « ولكن .. من ... »

أخرستها إشارة من المرأة إلى فمها .. إنها من الطراز الذى يفضل أن يكون الكلام همسًا .. ثم قالت بصوت كالفحيح وبلكنة شبه فرنسية :

ـ « لاداعى لرفع الصوت ..لو عرف أحد أننى أتصل بك لكانت نهايتى .. أنت الصحفية أليس كذلك ؟ »

مسحت (عبير) عن وجهها الدمع ، وقالت فى حيرة :

ـ « بلى .. ولكن .. »

ـ « أنا أدعى (دوروثى فايمان) .. هل يذكرك الاسم بشىء ؟»

ـ « لا .. »

فى صبر عادت المرأة تسألها :

ـ « هل تعرفين مدينة (كاسل ـ نيدر تسفيرين) ؟ »

ـ « لو كنت عرفت مدينة بهذا الاسم المعقد فلن أتذكره أبدًا .. »

بدا على المرأة الغيظ .. نظرت إلى الموقد فى شرود ، وبدا كأنما تريد أن تسكب القدر على رأس (عبير) :

ـ « أنت بلهاء إذن .. هل أنت متأكدة من أنك صحفية ؟ »

ـ « نعم .. كنت .. والآن ألعب دور (سندريللا) من دون براعة .. »

فتحت المرأة فمها لتتكلم ، لكن ضوءًا أزرق غامضًا تسلل من باب المطبخ .. وراحت النجوم تتناثر فى كل صوب .. كان هذا كافيًا كى تحمل أطراف ثوبها وتهرع مغادرة المكان ، فتذوب فى الظلام ..

(عبير) ترمش بأهدابها الطويلة غير فاهمة .. إلى أن رأت الجنية الطيبة ذات الجناحين ـ هذه المرة ـ تقف

على الباب ، وهى تحمل معها العصا التى تتناثر النجوم من طرفها كما يتناثر الشرر من تلك الصواريخ التى يشعلها الأطفال فى الأعياد ..

قالت لها بصوت رقيق جدير بالجنيات :

ـ « تبكين يا (سندريللا) ؟ كل هذا من أجل الحفل ؟ »

كانت (عبير) غير رائقة المزاج ، راغبة حقًا فى معرفة من هذه المرأة (فايمان) التى بدا ظهورها دراميًا جدًا ، مؤثرًا جدًا وسط هذا الجو الحالم .. كانت أكثر واقعية من الواقع .. لكن الجنية افترضت أن صمتها شوق ..

ـ « لسوف تحضرين الحفل .. أعدك بهذا .. »

فى الحقيقة لم تكن (عبير) راغبة على الإطلاق فى حضور أية حفلات .. تلك الأماكن الحارة المزدحمة حيث يحتشد الناس مصممين على الصراخ ، ويتأمل بعضهم البعض فى فضول .. كانت دومًا تمقت أن يدعوها أحد لحفل زفاف لأنها لاتطيق ساعات التعذيب تلك ، وتفضل أن تترك وشأنها ..

لكن القصة تحتم أن تكون ملهوفة على حضور حفل الأمير ..

وتم الأمر بسرعة .. لمسة من العصا السحرية ، وسرعان ماوجدت نفسها ترتدى ثيابًا جديرة بالأميرات .. لمسة أخرى وتحول شعرها المبعثر إلى أروع قصة شعر رأتها فى حياتها .. إن هذه العصا كفيلة بخراب بيت (سعد) الكوافير الذى يقبع محله التعس عند مدخل الحارة ، والذى لايفعل شيئًا سوى وضع طبقة من الجص اللامع الملون على وجوه العرائس ..

قالت الجنية فى حيرة وهى تتأمل عملها :

ـ « لكن كيف تذهبين إلى القصر ؟ »

قالت (عبير) فى ملل وهى تتفحص وجهها فى المغرفة اللامعة :

ـ « هذا سهل .. تحولين قرعة كبيرة إلى عربة فاخرة بخيول مطهمة .. »

ـ « جميل .. جميل .. والحوذى والخدم ؟ »

ـ « المطبخ يعج بالفئران .. لن تجدى صعوبة فى هذا .. »



وتم الأمر بسرعة .. لمسة من العصا السحرية ، وسرعان ما وجدت نفسها ترتدى ثيابًا جديرة بالأميرات ..

ـ « أنت عبقرية يا عزيزتى ! »

وكأن هذا جديد .. وبرغم أن جزء العربة هذا من ابتكار (ديزنى) وليس فى القصة الأصلية ؛ فإنه تم حرفيًا ..

تنزل (عبير) إلى الحديقة أمام المنزل لترى أروع عربة تجرها الخيول فى حياتها ، ولن أطيل الوصف لأن الصورة موجودة فى أى كتاب قصص أطفال يحوى قصة (سندريللا) .. بينما يقف الحوذى الذى كان فأرًا من دقائق ينتظر ركوبها .. شكله مقتنع لو تجاوزنا عن رائحته ، والذيل الذى يحاول ببراعة أن يخفيه تحت ذيل ثوبه الطويل ، ثم إنه كان يقرض قطعة من الجبن ..

انحنى لها فى رشاقة ، فصعدت برشاقة مماثلة إلى العربة .. غريب أن (سندريللا) تجيد الإتيكيت برغم أنها قضت أعوامها السبعة عشر فى تنظيف البلاط ..

هنا تدنو الجنية من باب العربة ، وتلوح بعصاها مودعة لكنها تذكر (سندريللا) :

ـ « ثمة مشكلة صغيرة .. »

ـ « منذ متى لم تكن ؟ »

ـ « هذه هى النقطة التى يطلق عليها الكتاب اسم Catch أو اللقفة .. إن مفعول السحر ينتهى عند منتصف الليل تمامًا .. »

ـ « هذا شىء معروف .. »

بحثت الجنية فى ثيابها قليلاً ثم أخرجت مفكرة إلكترونية صغيرة دستها فى يد (عبير) ، وقالت فى حرج :

ـ « معذرة .. ليست معى ساعة لكن هذه ستفى بالغرض .. سوف تدق عند منتصف الليل ولا أنصحك بالانتظار بعدها .. »

ابتسمت (عبير) .. هذه أشياء معتادة على كل حال فى (فانتازيا) منذ كان (رمسيس) الثانى يستعمل اللاسلكى فى الاتصال بفرقة (بتاح) ..

وثبت إلى العربة ولوحت بيدها وقد بدأت تشعر بأن الليلة لن تكون مملة جدًّا ..

★ ★ ★

5 ـ سهرة مع الأمير ..

كان دخولها إلى الحفل جديرًا بالقصص الخيالية فعلاً ..

فى البدء كان القصر بقعة من الضوء .. كأنه شمس صغيرة تتوهج فى ظلام الليل .. شمس لا ترى معالمها ولا تفهم من أين تبدأ ولا أين تنتهى ، وكان البسطاء يلتفون حوله .. البسطاء بثيابهم الممزقة والسمات التى تشى بالجوع .. ثمة أم تلبس الأسمال تحمل طفلاً عاريًا من الأطفال الذين تراهم فى صور مجاعات إفريقيا .. وكانا ينظران فى انبهار إلى رقصة الأضواء ويضحكان من القلب .. هكذا البسطاء .. يرون السرور فيشعرون به من دون أن يكون لهم فى هذا المشهد ناقة ولا جمل ..

تهبط من العربة ممسكة بيد الحوذى الذى كان فأرًا منذ ساعة .. ويثلج صدرها أنها جزء من هذا

المشهد فلم تشذ عنه لحظة .. إنها حلم يمشى على
قدمين .. جميل أن تشعر بأنها حلم ..

من القصر تنبعث موسيقا (شتراوس) ..
الفالسات الفاخرة إياها التى دوت مرارًا فى ليل
النمسا ، فلا غرابة أنه حين ثار الفقراء فى فيينا
وتكفل المارشال (رادتسكى) بخراب بيتهم ، خلد
(شتراوس) هذا الجنرال فى مقطوعته العظيمة
(مارش رادتسكى) .. هذا عالم (شتراوس) حيث
لاموضع للفقر أو البؤس أو الجوع ..

يدوى نفير من مكان ما ، وتصعد هى فى الدرج
ومن خلفها ذيل ثوبها الطويل .. الطويييييييييل ...

الخدم ينحنون .. الحجاب ينحنون .. الأبواب تفتح ..
ثم هى فى القاعة الواسعة التى علقت فى سقفها
ثريات لايقل عددها عن المائة .. والتى يمكنك أن
تغرق فى سجادها السميك وتموت ..

الرقص يتوقف والموسيقا تتوقف .. والكل ينظر
فى دهشة إلى هذه المعجزة الجميلة التى دخلت ..

رشيقًا كغزال .. متأنقًا كطاووس .. سمجًا كحيوان
(الولفرين) .. يخطو هذا الشاب نحوها بخطى
واسعة .. لاتحتاج إلى وسيلة إيضاح كى تعرف أن
هذا هو الأمير ..

يأتى بحركة رشيقة من أنامله فى الهواء ، كأنما
يرسم دائرة ، ثم ينحنى ليلثم كفها ويمشى جوارها
مفرود الظهر إلى وسط القاعة .. كل حركات هؤلاء
القوم مفتعلة كأن هناك رسامًا خفيًا يرسمهم فى هذه
اللحظات ، وهم يعرفون هذا ..

يصيح الأمير :

- « رابسودى ! »

من ثم تبدأ الفرقة فى العزف ، ويدور بها وسط
الحشد .. من الغريب أنها ترقص ببراعة أيضًا ..
ولاتسل عن المكان الذى تعلمت فيه (سندريللا)
الرقص ، هى التى لم تمارس فى حياتها إلا تنفيض
السجاجيد .. ولاتسلنى كذلك عن كيفية الرقص بثوب

تبلغ طول ذيله سبعة أمتار .. هذه أمور تافهة لاتستحق التفكير ..

عملى جدًا هذا الأمير .. لم يسأل عن شىء ولم يضع لحظة للتعارف .. الرقص هو كل شىء .. وكما توقعت (عبير) لم يرق لها على الإطلاق .. كانت طيلة حياتها تمقت الرجال ذوى النظرة الناعسة والشوارب الرفيعة ..

دورة فدورة .. دورة أوسع فدورة أوسع .. فأوسع .. فأوسع ..

ترى الخنزيرات الثلاث من بعيد ينظرن فى مزيج من مقت وحسد .. لابأس بهذا الانتقام ، لكن لذته لن تكتمل إلا حين يعرفن أن هذه (سندريللا) بالذات .. هذه هى لحظة الإشباع الحقيقية التى يعرفها كل كاتب سيناريو يجيد عمله .. طبعًا لن يعرفن هذا إلا متأخرًا لأنهن حمقاوات تمامًا ، والفراسة مرادفة للذكاء دائمًا ..

دورة فدورة .. دورة أوسع فدورة أوسع .. فأوسع .. فأوسع ..

ثم تتغير الموسيقا .. ويدوى صوت المطرب المبحوح :

ـ « هلموا .. دعونا نرقص التويست ثانية كما فعلنا فى الصيف الماضى !! »

(تويست) ؟ لا بأس .. إن هذه (فانتازيا) على كل حال ..

ولابد أن (دى جى- 2) كان فى حالة نشوة غير طبيعية لأن الفرقة انتقلت إلى (إلفيس بريسلى) .. ثم (هشام عباس) ثم (حكيم) .. ثم انطلق صوت (شعبان عبد الرحيم) :

ـ « حقوم الصبح بدرى وانطّ الحبل نطّ ..

كمان حاغذى نفسى وآكل حمام وبط ! »

لقد تجاوز عالم (فانتازيا) كل القيود .. وحفل الأمير الذى بدأ بفالسات (شتراوس) قد انتهى بـ(حمام وبط) .. لكن الكارثة هى أن الأمير كان منتشيًا جدًا ، وكان يرقص كل أنواع الرقص فى اندماج غير عادى . كما توقعت

بالضبط .. هذا رجل لا يوجد ما يشغله فى عالمنا هذا .. المفترض أنه مكافأة (سندريللا) على عذابها السابق .. ويا لها من مكافأة ..

لابد أن الاهتزازات كانت قوية لأنها لم تشعر بالمفكرة الإلكترونية وهى تدق ...

لابد أنها لم تلق نظرة واحدة إلى ساعة الجدار التى - للأسف - لم تكن من النوع الدقاق كما فى القصص ..

فجأة شعرت بأن ثيابها لم تعد بذات الجدة والرائحة العطرة .

فجأة عرفت أن قدميها كانتا حافيتين على الأرض ..

وفى الخارج وجد أحد الحراس قرعة نصف فاسدة تركض هاربة من مكانها عدة فئران مشعثة .. لابد أنه لم يصدق عينيه لما صار إليه حال القصر ..

أما فى الداخل فحدث ولا حرج ...

الكثير من الذعر والذهول والتساؤلات والعيون المتسعة والتنهدات والرعب والحيرة وعدم الفهم ..

بعد صمت طال قال الأمير :

- « أنت نفس الفتاة .. كنت أنت نفس الفتاة .. »

نظرت (عبير) إلى ساعة الحائط فوجدت أنها تجاوزت منتصف الليل بخمس دقائق ..

وقال الأمير وهو يخطو للوراء :

- « لقد استعملت السحر .. أنت ساحرة !! »

وهنا فقط صاحت زوجة الأب التى لم تعد لديها ذرائع حتى لو كانت حمقاء كأخطبوط :

- « (سندريللا) ! فعلتها اللعينة ! »

وقالت واحدة من بنتيها :

- « نعم .. نعم .. لعينة .. »

بينما أطلقت الابنة الأخرى شهقة ثم سقطت فاقدة الوعى ، لكن لم تمتد أى ذراع حانية تساعدها على النهوض كما تصورت .. تركوها على الأرض كخرتيت اغتالته طلقات الرصاص ..

قال الأمير وهو يدير ظهره :

ـ « خذوها إلى السجن .. فلتواصل الفرقة العزف .. »

* * *

وهكذا ياسادة انتهت قصة (سندريلا) بالنسبة لـ (عبير) البائسة !

تلاحظون أنه لم يكن هناك حذاء رقيق يرسل الأمير رجاله للبحث عن صاحبته ، وهو ما كان فى الماضى يثير دهشة (عبير) دومًا .. لقد انتهى السحر وتحولت ثياب (سندريلا) الأنيقة إلى أسمال وحوذيها إلى فأر ، فكيف ظل حذاؤها محتفظًا بحالته ولم يتحول إلى أصله المخجل ؟ حتى قصص المذءوبين كانت أكثر حذرًا فجعلت مخلب المذءوب يتحول إلى إصبع بشرية حينما تشرق الشمس ..

المهم أننا الآن مع (عبير) فى تجربة مثيرة بعض الشىء .. السجن فى عوالم الأخوين (جريم) .. على قدر علمى لم يحك الأخوان عن السجن قط ، لكنها الآن تعيش فيه وتنام فيه ..

ليس سجنًا رائعًا لو أردتم رأيى .. لانوجد زهور ولاأرانب صغيرة .. إنما هو قبو رطب مظلم .. رائحة عطنة .. قفص كأقفاص الوحوش .. قيد حديدى على عنقها مربوط إلى سلسلة مثبتة فى الجدار وكومة قش هى فراش فى الواقع ..

كان المساجين وأكثرهم رجال يئنون فى الأقفاص المجاورة .. أحيانًا تسمع صراخ التعذيب لكنها لاتراه ..

هذه هى الحقيقة يا رفاق .. الحقيقة تحت ذلك العالم الجميل الحالم فوقها .. ليست إلا كقشرة الأرض الهادئة الخضراء ، بينما تحتها جهنم من الحمم ، وحتى (فانتازيا) لم تستطع أن تهرب من هذه الحقيقة المريرة .

هنا سمعت (عبير) صوتًا مألوفًا ..

نظرت من بين قضبان قفصها فرأت تلك المرأة فى الظلام وبين المشاعل .. ماذا كان اسمها ؟

ـ « أنا (دوروثى فايمان) .. »

فى ضيق وغيظ قالت :

- « أعرف .. أعرف .. أنت سارقة الفطير التى قابلتها فى المطبخ ، وكنت أتمنى لو عرفت كيف دخلت هنا .. »

- « إن قدرتى على الحركة غير محدودة .. لكن سلطاتى معدومة لأننى لست صاحبة هذا العالم .. »

قالت (عبير) فى غل :

- « لا تكلمينى عن هذا العالم القشرى .. هذا الأمير الوغد الذى كان يطير بى فرحًا وانبهارًا ، ألقانى فى غياهب الجب فى ثوان ، لمجرد أننى لم أعد بذات الثياب الفاخرة .. يذكرنى هذا بقصة (جحا) الذى ذهب لمأدبة فطرده الحراس .. عاد لبيته وارتدى ثيابًا فاخرة فرحب به الحراس .. هكذا استنتج - ذلك العبقرى - أن ثيابه هى المدعوة إلى الطعام وليس هو ، وكور عباءته وألقى بها فى قدر الطعام .. إذن الأمير الرقيع لم يكن يرقص مع (سندريللا) .. كان يرقص مع ثيابها .. »

قالت المرأة فى فهم :

- « كلهم نفس الشىء يا بنيتى .. أنت لم تتغيرى .. ذات العينين الساحرتين والشعر الذهبى والبشرة النضرة .. لكنك ببساطة تغيرت فى نظر هؤلاء الحمقى .. هذا ضعف بشرى مفهوم ، وإن لم يكن مقبولاً .. لاتتوقعى أن تتحولى إلى خادمة بينما الأمير يرقص معك ، ومن ثم يهز رأسه فى تواضع ويواصل الرقص مؤكدًا أن الجوهر هو المهم .. »

- « ليس إلى درجة السجن على كل حال .. »

ثم تذكرت (عبير) أن هذه المناقشة ليست هى ما تريده الآن :

- « من أنت ؟ »

- « أنا أدعى (دوروثى فايمان) .. »

شدت (عبير) خصلات شعرها وصرخت فى غيظ :

- « سمعت هذا الاسم السخيف عشر مرات .. لكن من أنت حقًا ؟ »

ـ « أنا ... »

ثم تذكرت شيئًا فمدت يدها فى صدرها وأخرجت مفتاحًا .. لوحت به أمام عينى (عبير) فى انتصـار ، ثم دسته فى القفل و ... كليك انفتح الباب كما ينبغى للأبواب أن تفتح ، وفى لهفة قالت :

ـ « الآن يجب أن تفرى .. لاوقت للشرح لأنهم سيحرقونك باعتبارك ساحرة عند الشروق . لو كانت عندك طموحات أفضل من أن تتحولى إلى قطعة فحم ، ولو لم يكن لديك مزاج رائق للتضحية فلابد من الهرب .. »

قالت (عبير) وهى تخرج من القفص ، مندهشة كيف لم يشعر الحراس بهذا كله :

ـ « ولكن إلى أين أهرب ؟ »

ـ « إلى الشمال .. سوف تمرين بـ (شتيناو) ثم (ماربورج) .. وفى النهاية تجدين نفسك فى (شفالماشتات) .. خذى الحذر هناك .. »

ماشاء اللّه .. هل هذه أسماء أم أفعال ؟ لم تتذكر حرفًا على الأرجح ..

ولو كانت (عبير) عبقرية مثلنا جميعًا لتذكرت أن (ماربورج) هى المدينة الألمانية التعسة التى ارتبط اسمها بفيروس (ماربورج) وهو من أخطر الفيروسات النزفية ، لكن هذا ليس موضوعنا طبعًا ..

راحت تركض بين الأقفاص بينما المساجين ـ الأبرياء غالبًا ـ يصيحون ويمدون أيديهم بين القضبان :

ـ « هيه أيتها الحسناء .. »

ـ « افتحى لنا الباب ! »

ـ « هل من نظرة لمحكوم عليه بالإعدام ؟ »

الخ .. لكنها لم تكن تملك مفاتيح ، ولحسن الحظ أنها لاتملك ، فما كانت لتجازف بإخراج واحد من هؤلاء حتى لو كان بريئًا .. إن بضعة أيام فى هذه الأقفاص تحول الإنسان إلى وحش ..

تركض بين الأقفاص .. تركض ..

وفى النهـاية كـان هنـاك باب يرقد جواره حارس يغط فى نـوم عميق أقرب إلى الوفـاة .. هذا رجل تـم تخديره بلاشك .. إن (دوروثى) ليست بلهاء ..

أمامها ترى الغابة الممتدة المظلمة ، فيرتجف قلبها ..

المفروض أن تعبر هذه المساحة الشاسعة .. نحو الشمال .. كأن الشمال غاية فى حد ذاته .. ولكن لماذا ولأى غرض ؟

وضمت أسمالها على جسدها وغمغمت :

- « لم يكن الأخوان (جريم) صادقين تمامًا .. هناك قبح فى هذا العالم .. قبح شديد .. »

* * *

6- بياض الثلج ..

الغابة مظلمة باردة ..

مرعبة بحق لذوى الخيال الجامح ، ومخيفة فحسب لضيقى الأفق .. وللأسف كانت (عبير) ذات خيال جامح ..

يبدو أن الغابة تحيى فى النفس خوفًا أوليًا ترسب هناك فى وجداننا الجمعى .. حين كان الظلام يعنى الموت .. عواء يتردد من مكان ما فيتردد عواء من صوب آخر .. ثم عواء ثالث فرابع ينتهى بزئير طويل لوحش لا يعوى .. ثم ينسل شىء من تحت قدميك .. قليلة هى الأشياء التى تنسل .. وكلها باردة مميتة ..

ثم صوت « هووووه ! » يشى ببومة تنتظر هناك فوق غصن شجرة .. كأنها نذير الموت ...

إن (عبير) خائفة .. وحيدة وخائفة ..

صحيح أنها فرت من الإعدام ، لكن إعدامًا من نوع آخر ينتظرها حتمًا حين يثب الشىء من فوق الشجرة ليلتهم أحشاءها ..

الغابة مظلمة باردة ..

و (عبير) واجفة القلب تنتظر .

★ ★ ★

لاتدرى كيف ولامتى فقدت وعيها وسقطت على الأرض من فرط إرهاق ورعب ..

لكنها حين صحت من نومها كان هذا بفعل ضياء الشمس ..

لشد ماندرك سخف مخاوفنا فى ضوء الشمس ! إن هذه الغابة من أرحب وأجمل مارأت .. هذه الغابات الألمانية خلقت لقصص الأطفال وخلقت لها قصص الأطفال ..

هنا حدثت إضافة من إضافات (ديزنى) الشهيرة .. لقد راحت الطيور تغرد حول رأسها وتحوم ، فى حين راحت الأرانب الصغيرة ترتمى على قدميها .. أرانب صغيرة تلعب آذانها دور الضفائر بالنسبة للبنات ..

فلو كانت (عبير) تملك صوتًا رخيمًا أوبراليًا لغنت ، لكنها أدركت أن صوتها كفيل بإفزاع كل هذه المخلوقات الصغيرة ..

مشت فى الغابة تشم هذا وتقطف هذه وتلاعب تلك حتى رأت الكوخ من بعيد ..

هذا كوخ معتاد من الأكواخ التى تعج بها تلك القصص ، ولكن التحفظ قد علمنا أن تلك الأكواخ مقلقة دومًا .. (حسن) وجد كوخًا كهذا ودخله ونام فيه ، غير عالم أنه كوخ الذئب .. وعندما انتصف الليل عاد الذئب إلى الكوخ ليجد (حسن) نائمًا فى فراشه .. هناك كوخ آخر كانت الدببة الثلاثة تعيش فيه وقد أضير الأحمق الذى قرر أن يبيت فى هذا المكان والتهم الحلوى ..

لكن الكوخ كان رحبًا بالفعل .. لو كان هذا الكوخ خطرًا فهى لاتفقه شيئًا ...

وكان ـ كما نعرف ـ يحوى سبعة أسرة ومنضدة صغيرة عليها سبعة أطباق وملاعق ، كما كان هناك قدر كبير من قدور القصص التى تحوى (العصيدة) دائمًا .. ولا أعرف مم تصنع هذه العصيدة بالضبط ، لكنهم يأكلونها دومًا ..

ولا أعرف السبب ولايمكن فهم كيف ولماذا قامت (عبير) بتنظيف الكوخ وتجميله بالزهور ، وكيف ولماذا طهت العصيدة التى جعلت رائحتها الغزلان تطل برأسها من باب الخوخ تتشمم الهواء فى نهم ..

أما المعجزة الكبرى التى جعلها الأخوان (جريم) ممكنة فهى أنها نامت ..

لاتنسوا أنها لم تنم لحظة طيلة الليل ..

وهكذا صار المسرح معدًا لقصة (سنوهوايت) التى هى من أهم وأجمل ماكتب الأخوان ..

* * *

حين عاد الأقزام السبعة إلى الكوخ من عملهم فى المنجم ، كان النظام المفزع هو أول ما لاحظوه ..

تسألنى بالطبع عما يفعله هؤلاء القوم فى المنجم .. أقول إننى لا أعرف .. إنهم يستخرجون الذهب لكنهم لايبيعونه أبدًا ، ولاتعرف مايفعلون به بالضبط .. القزم وقدر الذهب شيئان مترابطان فى الوجدان الغربى مثل الفول والفلافل فى وجداننا ..

المفاجأة الأخطر هنا هى أن هناك فتاة جميلة بارعة الحسن تنام فى فراش أحدهم ..

يجب هنا أن أقول إن الأقزام لايتميزون بشىء إلا بأنهم أقزام وأنهم سبعة ، أما (ديزنى) فجعل لكل منهم شخصية متميزة واسمًا يدل على شخصيته .. على غرار (جرامبى) و(سنيزى) و(هابى) .. إلخ ...

وبعد الذعر .. الكثير منه فى الواقع تنهض (عبير) لتعلن أنها فتاة وأنها حسناء ، وتعطى كلاً من هؤلاء قبلة على خده .. يتقبلها فى خجل وارتباك كأنها وصمة ..

ثم إنها تمارس الدور الأنثوى المعروف الذى تصفه عاشقة فرعونية قديمة تتغزل فى حبيبها وتتمنى أن تظفر به .. ثم فى نهاية القصيدة تقول :
حتى أستولى على كنوزك ومفاتيح بيتك !

هكذا ـ بنعومة لا تصدق ـ تحولت (سنوهوايت) إلى الحاكم بأمره فى هذا البيت ، وصارت تحدد للأقزام البسطاء السعداء ماذا يأكلون ومتى ينامون ومتى يصحون ..

الحق أن (عبير) كانت متوترة فى البداية من أن يلاحقها رجال الأمير الوغد ، لكنها بدأت ترتاح إلى حقيقة أن هذه قصص منفصلة غير متداخلة .. فى الغالب هى قصة مختلفة تمامًا ، وعلى أبسط الأحوال لم يعد اسمها (سندريللا) بل تحول إلى (سنوهوايت) .. صحيح أنها تحتفظ بنفس الملامح لكن تعرفها صار عسيرًا .. أضف لهذا أن بيت الأقزام متوار فى الغابة يصعب العثور عليه ..

يبدو أن الحياة ستكون منتظمة إلى حد ما من الآن فصاعدًا ..

فى الصباح تعد الإفطار لهم ويخرج الأقزام مغنين حاملين الفئوس ليعملوا فى المنجم ، بينما هى ترتب لهم الكوخ وتنظفه .. إن هؤلاء الأطفال الكبار يحدثون فى الكوخ ما تعجز عشرة خراتيت عن عمله .. إن (عبير) تؤدى تقريبًا نفس عملها حين كانت (سندريللا) ، لكنها تمارسه بحب وبرغبتها الخاصة وهذه نقطة مهمة ..

ثم تفرغ من العمل فتعد لهم العشاء ـ عصيدة دائمًا طبعًا ـ مع كعكة التوت المقدسة فى هذه القصص ، وتجلس كأم مخلصة تنتظر الرجال السبعة لدى العودة مغبرين مشعثين غارقين فى العرق ..

طبعًا ترغمهم على الاستحمام ، والاستحمام كما هو واضح ليس من الأمور المحببة لدى الأقزام .. فإذا فعلوا كالأطفال متحاشين غسيل آذانهم وعيونهم .. وهكذا يمر الوقت فى شد وجذب حتى يجلس الجميع نظيفى الوجوه والأيدى إلى المائدة ، وتشرف هى على طعامهم كأى أم متفانية فلا تظفر بأول لقمة إلا بعد أن يشبعوا جميعًا ..

بعد هذا يبدأ الشخير لأن السبعة المتعبين ينامون جميعًا ..

وغدًا يوم آخر ..

* * *

فى هذا الوقت ـ كما نعرف نحن ـ توجد ملكة شريرة .. ملكة شريرة وساحرة ..

والساحرات فى عوالم (جريم) رائعات الجمال ، لكنه جمال كالثلج البارد .. جمال أرستقراطى جليدى شاحب يثير الرعب أكثر مما يثير الإعجاب .. باختصار هو جمال الكوبرا التى تتحفز للدغة ، ومن ينكر أن الكوبرا رائعة الجمال ؟

كانت تعيش فى قلعة من قلاع القصص التى يحيط بها الضباب ويقود إليها طريق ضيق خطر متعرج ..

كانت الملكة تعرف أنها رائعة الجمال ، ولكنها كانت بحاجة إلى أن يطمئن قلبها من حين لآخر .. لهذا كانت عندها مرآة من مرايا القصص الثرثارة إياها .. فى كل صباح تتجه إلى المرآة وتسألها :

ـ « من هى أجمل امرأة فى الكون ؟ »

فتتثاءب المرآة المنافقة فى ملل وتقول الجواب الذى رددته آلاف المرات :

ـ « أنت طبعًا .. »

هكذا تغمض المرأة عينيها راضية عن الكون وعن نفسها .

إلى أن جاء اليوم الأسود الذى قالت فيه المرآة :

ـ « أنت أجمل امرأة فى الكون ، لكن (سنوهوايت) التى تعيش فى كوخ الأقزام السبعة أجمل منك بمراحل .. »

واللغز الذى يصعب فهمه هنا ، هو أين كانت (سنوهوايت) طيلة هذا الوقت ؟ كأنها ظهرت إلى الوجود أو صارت جميلة فجأة ..

المهم أن الملكة جن جنونها وقررت أن تنتقم ..

فى البداية انفجرت فى سيل من السباب للمرآة ،

ولا أستبعد أن تكون هشمتها فى ثورة غضبها .. إن ملكة الجمال التى فقدت تاجها تكون خطرة كالخرتيت ..

وانتقامها كان من نوع مبتكر ..

وهكذا فى ذلك الصباح جلست (سنوهوايت) أمام الكوخ بعدما رحل الأقزام إلى عملهم ..

تتأمل الدغل أمامها .. ذلك الدغل الجميل الذى جعلته أحلام الشعراء أجمل ...

فى هذه اللحظة رأت شبح امرأة يخرج من هناك متجهًا نحوها .. لم تتبين ملامحها جيدًا لأن عباءة كانت تغطى رأسها ، لكن يمكنك بسهولة أن ترى تلك التفاحة التى تحملها فى يدها ...

قالت (عبير) لنفسها : إن هذه المرأة حمقاء حتمًا .. لو كانت تريد أن تسممها بالتفاحة كما تحتم القصة ، فإنه من السخف أن تمشى حاملة إياها بهذا الشكل الفاضح .. هذا المشهد المريب يقول بوضوح إن التفاحة مسمومة ..

إذن هذه هى الملكة الشريرة .. لاشك فى هذا ..

استعدت (عبير) للمقاومة متحفزة ، لكن المرأة دنت أكثر فأدركت (عبير) أن هذه ليست الملكة الشريرة .. كانت تلك المرأة غريبة الأطوار (دوروثى فايمان) ..

- « أنت من جديد ؟ »

رفعت المرأة التفاحة إلى فمها فقضمت قضمة كبيرة ، ومعها قضمت أى احتمال لأن تكون التفاحة مسمومة ، وقالت لـ (عبير) :

- « بالطبع أنا .. وكنت أتمنى لو يكون الوقت مناسبًا للثرثرة لكنك فى خطر داهم .. »

- « كالعادة .. »

قالت المرأة وهى تنظر حولها :

- « هؤلاء الأقزام .. ليسوا على ما يرام .. حاولى ألا تثقى بهم إلى هذا الحد ! »



رفعت المرأة التفاحة إلى فمها فقضمت قضمة كبيرة ، ومعها قضمت أى احتمال لأن تكون التفاحة مسمومة ..

من جديد هذا السخف .. طبعًا يصعب على المرء أن يجد أية لمحة من الشر فى هؤلاء الأطفال شديدى البراءة . هذه هى الباراتويا الحقة ..

هنا تعالى صوت الأقزام عائدين من بعيد مرددين نشيدهم الشهير ..

نظرت المرأة إلى (عبير) واتسعت عيناها وهتفت فى جزع :

- «لم يعد من وقت لمزيد من الشرح .. أنا راحلة لكنى أعتقد أن اليوم هو المختار .. سلى نفسك عن السبب الذى جعلهم يعودون مبكرًا اليوم .. خذى هذا»

ودست فى يدها وريقة صغيرة ملفوفة حول مسحوق ما ..

ثم توارت كعادتها بين الأشجار ، فى ذات اللحظة التى ظهر فيها أول الأقزام حاملاً فأسه ووراءه صف إخوانه ..

نظرت لهم (عبير) وهى جالسة أمام الكوخ ، وقررت

ألا تخبرهم بشىء عن تلك المرأة .. كيف تخبرهم وهى ذاتها لاتعرف شيئًا عن حقيقتها ؟ إنها تظهر وتختفى فحسب كأى شبح .. وليست الأشباح من الموضوعات الدسمة الصالحة للنقاش ..

- « جئتم مبكرًا اليوم .. »

قال أحدهم - ربما كان (سنوبى) - وهو يمسح عرقه :

- « انتهينا من هذا القطاع فى المنجم ، وقررنا أن نظفر ببعض الراحة .. »

- « لم أنته من إعداد الطعام بعد .. »

- « لن تكون هذه مشكلة .. سننتظر .. »

ودخلت (عبير) إلى الكوخ الرحب ، وراحت تعد العصيدة - كالعادة - شاردة الذهن فى كلمات المرأة ، وفى تلك العودة غير المتوقعة للأقزام .. ثمة شىء ما لاتعرف ما هو ، لكنه يفعمها قلقًا وتوترًا ..

شىء ما ..

ومن خارج الكوخ كانت تسمع ثرثرتهم المعهودة ، وكل الأقزام ثرثارون بالمناسبة ..

- « يمكننا الانتهاء الآن .. »

- « ليس قبل أن نتناول العصيدة .. إنها تجيد صنعها .. »

- « من المؤسف أنها لم تعلمها لنا ! »

- « الملكة ستغضب من التأخير .. وغضبها مخيف .. »

- « بضع دقائق أخرى لن تحدث تغييرًا .. »

- « (سنوزى) سيبدأ بالعنق . أما أنت فتقيد اليدين معًا ! »

كان هذا كافيًا ..

وبدأت يدها ترتجف وذهنها يتشتت ..

القصة واضحة إذن .. المرأة لم تكذب ، وهؤلاء الأوغاد يعملون تحت إمرة الملكة الساحرة .. ويبدو أن هذا هو اليوم المختار .. لقد صار التفاح المسموم موضة قديمة بالية ..

بشكل ما استطاعت الشريرة أن تجند هؤلاء السبعة كى يقتلوا (سنوهوايت) وبالتالى تعود أجمل امرأة فى الكون .. هل بالسحر ؟ هذا هو الاحتمال الأقرب ..

ومدت (عبير) يدها الراجفة تعبث فى حقيبة ظهر أول الأقزام .. كانت تعرف أنها تحوى بعض الطعام والفأس .. لكن ما دور السكين هنا ؟ سكين طويلة شرسة المنظر توحى بجز الأعناق ..

الحقيبة الثانية .. نفس الشىء ..

الثالثة .. الشىء ذاته ..

ماذا تفعل ؟

كيف تتصرف ؟

★ ★ ★

7 ـ رد رايدنج هود ..

المسحوق !

لقد أنقذتها (دوروثى) من قبل، ولا يوجد ما يمنع من أن تستمر فى هذا ..

مدت (عبير) يدها إلى الورقة، وأفرغتها فى إناء العصيدة .. كان محتواها مسحوقًا أقرب إلى الفلفل .. كل المساحيق المؤذية تشبه الفلفل .. هكذا تعلمت حين ابتاعت أمها سم الفئران، وراحت تلوث به قطعًا من الطماطم لتلقى بها فى مدخل الدار من أجل ذلك الفأر الذى ..

انتهى إعداد الطعام ..

ووقفت على المدخل تدق جرسًا صغيرًا كعادتها فى موعد الغداء، لكنها فى هذه المرة لم تشعر بأنها تدق قلبها، ولكن تدق طبول إعدام هؤلاء الخونة ..

سحر أو لا سحر .. هى لن تبتلع أبدًا الخيانة ولن تفهمها .. ذاقتها فى عالم الواقع كثيرًا ، ولن تتحمل أن تذوقها فى (فانتازيا) ..

ويلتف الأوغاد السبعة حول المائدة .. ويبدءون فى الصياح والشجار كالعادة ، لكنها تشعر بأن كل شىء مفتعل .. ليس المرح هو المرح ولا الصخب هو الصخب .. إنهم يمثلون دورهم .. فقط يريدون قتلها ببطون مليئة بالعصيدة التى أعدتها لهم !

وتذكرت قصة بوليسية قديمة قرأتها ، أرغم فيها القاتلان الطبيبة على إعداد طبق من المكرونة لهما قبل أن يقتلاها ! بعد ما التهما المكرونة أعلنت أنها دست الزرنيخ لهما فى الطعام وأنها وحدها تعرف الترياق المناسب ..

طبعًا يتضح في نهاية القصة ـ بعد قدوم الشرطة ـ أن ما دسته فعلاً هو الكثير من الفلفل والشطة ، مما جعل القاتلين يشعران بأن السم يمزق أحشاءهما ..

بعد الغداء بدأ الصمت وبدأت النظرات الزائغة ..

إنهم يعتقدون أن الوقت قد حان .. وهى تعتقد الشىء ذاته ..

قالت لهم ضاغطة على كلماتها :

ـ « الآن أريد أن أفهم .. لماذا تريدون قتلى ؟ »

كانوا أغبياء .. لهذا تبادلوا نظرات الحيرة وعدم الفهم ، ولو كانوا أذكى لاختصروا الوقت ..

ـ « هل أنتم أشرار أم مرغمون على الشر ؟ »

فتح القزم الأكبر الغاضب دومًا ـ أظن أن اسمه (جرامبى) ـ فمه ليتكلم ، ثم هوى رأسه على المنضدة .. وعلى الفور دوت أصوات ستة أجساد تهوى أرضًا أو ترتطم بالمنضدة الخشبية العتيقة ..

دنت (عبير) وتحسست عنق الأول فأدركت أنه يتنفس .. نائم بعمق كما كان حارس السجن ليلتها .. إن (دوروثى) هذه تملك الكثير من المنوم وهى لا تدخر فى استعماله ..

إلى الكوخ نظرت نظرة أخيرة ، عالمة أنها لن تراه ثانية أبدًا ..

كانت هناك عباءة حمراء ذات قلنسوة لا تدرى من تركها هناك ، لكنها كانت أجمل مـن أن تتركها حيث هى .. لهذا ارتدتها حول جسدها ورفعت القلنسوة لتغطى شعرها ..

بالإضافة لهذا كـان هنـاك الكثير من الذهب فـى القدور ، وقد قررت أن تحتفظ ببعضه .. إنها ستكون بحاجة إلى مال ولا شك .. هى تعرف أن السرقة هـى السرقة حتى لو كان المسروق قاتلاً ، وحتى لـو كـان آخر ما قام به هو محاولة قتلك أنت بـالذات .. لكنها رأت أن هـذه ليست سرقة بالضبط .. إنـه نـوع من العقاب لهؤلاء الأوغاد ..

ثم حملت جعبتها الصغيرة وانصرفت تاركة الأقزام يحلمون .. بالذهب ..

★ ★ ★

حتى هذه اللحظة لم تشعر بأن عالم الأخوين (جريم) جنة حقيقية .. بالأحرى هو ليس جنة على الإطلاق ..

وحين جلست أخيرًا تحت شجرة على مسافة معقولة

من الكوخ ، أخرجت مفكرتها الصغيرة وكتبت فيها بضعة سطور من مقالها الذى سيتضخم ويتضخم كلما طالت رحلتها هذه :

ـ «إلى حد ما يمكن القول إن الأخوين (جريم) تحدثا عن عالم لا وجود لـه .. عالم ينتصر فيه الخير ، ويمكنك ببساطة أن تتعرف الطيب والشرير .. لقد أعدا الأطفال لعالم سهل هين لا معاناة فيه ولا ألم ، وتعمدا خلط الحقائق .. ربما قالا الحقيقة لكنهما لم يقولا كل الحقيقة ولا شىء غير الحقيقة .. »

ـ «الأمير وغد لا خلاق له ، والأقزام السبعة بـاعوا (سنوهوايت) .. والقصص تدور على مسرح من الجمـال المبهر بينما الكواليس ذاتها قطعة من العذاب والألم .. »

ثم وضعت المفكرة بين حاجياتهـا وقـررت أن تواصل الرحلة ..

إلى الشمال .. هكذا قيل لها وهكذا ستفعل ..

كان هناك فلاح ألمانى جدًا ـ من طراز (فانتازيا) ـ يقف جوار عربة جر ، ويلبس (سالوبيت) على قميص

ذى مربعات ، الغليون العتيق فى فمه ، ويعتمر قبعة تيوتونية وله شاربان أشقران كثان ، ويمسك فى يده بكوز جعة تفور فى الهواء ..

حين ترى فلاحًا ألمانيًا فى (فانتازيا) فأنت تعرفه على الفور ، لأنه يفعل كل ماتتصور أن يفعله فلاح ألمانى ..

سألته بألمانيتها التى صارت طلقة فجأة برغم أنها صفر فى عالم الواقع :

ـ «أين نحن ؟»

ـ «(شفالمشتات) فى (هسه) أيتها الحسناء .. هل تجمعين الشليك ؟»

نظرت لنفسها وفطنت فجأة إلى أنها تحمل سلة جميلة تصلح فعلاً لجمع (الشليك) الذى هو (الفراولة) لو لم تكن تعرف .. هزت رأسها موافقة على كلامه ونظرت لترى الغابة ممتدة أمامها .. غابة جميلة فعلاً لكنها كذلك مخيفة .. كل غابات الأخوين (جريم) جميلة لكنها توحى بالتوجس والقلق ..

وهكذا وجدت مهمة لحياتها ..

دخلت إلى الغابة وراحت تجمع ما تساقط على الأرض من شليك ..

هنا فقط بدأت تفطن لحقيقة عملها وثيابها ..

إنها تلعب بالضبط دور ذات الرداء الأحمر ..

لِمَ لا ونحن نعرف أن (شفالمشتات) هى بالفعل موطن ذات الرداء الأحمر ؟ لقد استطاع الدارسون بالضبط تحديد موضع أبطال كل قصة من قصص (جريم) ، وغالبًا ما تجد اليوم تمثالاً فى هذا الموضع يمثل بطل القصة .. بل إن فتيات (شفالمشتات) يلبسن حتى اليوم الثياب ذاتها التى تلبسها (عبير) الآن ..

يبدو أنها بدأت تندمج فى الدور بعض الوقت ، وبالفعل شعرت بأنها معجبة بنفسها وهى تجمع الشليك كأنها صورة فى قصة أطفال ملونة ..

هنا دوى عواء الذئب ..

أجفلت ونظرت حولها ثم واصلت العمل ..

أخيرًا رأته قادمًا .. لم يكن ذئبًا يمشى على أربع

لكنـه أقرب إلـى جنتلمـان متـأنق .. فقـط تلاحـظ أن خطمه أطول من اللازم وأن عينيه ناريتان أكثر من اللازم ، وأن أذنيه ومخالبه طويلة أكثر من اللازم ..

باختصار يبدو كوغد ولا يبدو كذئب ..

وكـان يضع يديه فى جيبيه ويتقدم منها بتـؤدة كأنما ليس متلهفًا كما هو ..

قال لها بصوت ناعم :

ـ «صباح الخير أيتها الحسناء .. يوم جميل .. ألا ترين هذا ؟»

قالت وهى تبتعد :

ـ «أمى قالت لى ألا أكلم الغرباء أبدًا .. »

فى الحقيقة كانت ترغب فى الفرار لكنها خشيت أن تطلق هذه الحركة شراسته من عقالها .. لهذا فضلت أن تبتعد بالتدريج وعلى مراحل ..

ـ «وماذا تفعلين بالضبط ؟»

ـ «كما ترى .. »

وابتعدت أكثر لكنه كان يضيق الفجوة باستمرار ..

بدا لها الأمر مخيفًا .. هل تحدث الأخوان (جريم) بالفعل عن ذئب حقيقى أم ذئب مجازى ؟ إن كل لحظة فى هذا العالم تجعلها أكثر اقتناعًا برأى المفتش (بليتز) ..

فى النهاية وقد بدا أنه لن يرحل أبدًا ، قررت أن تلجأ لسـلاح المـرأة الأخـير فـى سلسـلة أسـلحتها المعروفة :

الصراخ .. الصراخ الذى يشبه صـراخ صفـارة إنـذار الغارات أو عربـة الإسعاف .. وكـان التكتيك ناجحًا لأن الذئب تصلب فى مكانـه فـى غبـاء عاجزًا عن الفهم ، عاجزًا عن قول شىء ..

وهنـا رأت جدارًا مـن العضـلات يثب مـن بين الأحراش حاملاً فأسًا ..

وبعد ثوان فهمت أن هذا حطاب متحمس .. والحطـاب المتحمس من المهن القليلة المسموح بها للرجال فى عالم الأخوين (جريم) ، وكلهـم فقـير جـدًا شـديد المراس جدًا ..

كان يحمل الفأس ويلوح به فى الهواء وعيناه على الذئب .. رآه الذئب فأطلق عواءً قصيرًا يشى بالرعب وخيبة الأمل ، ثم أطلق ساقيه للريح .. وإذ ابتعد كان بوسعها أن تدرك أن له ذيلاً قصيرًا ..

قال لها الحطاب وقد قرر أن يعدل عن المطاردة :

ـ «ما كان لك أن تكلمى الغرباء يا فتاة . أين دارك ؟»

دارى ؟ حقًا هى لا تعرف أن لها دارًا .. لكنه اختصر عليها الأمر وأشار إلى دخان يتصاعد فى السماء من بعيد ، وقال :

ـ «هذا الكوخ ؟ سأوصلك إليه ..»

ـ «قالت له وهما يمشيان نحو الدخان ؟»

ـ «شكرًا لك ..»

ـ «لا شكر على واجب .. المهم أن تلتزمى بالنصيحة»

لا تكلم الذئاب ؟ مطلب غريب حقًا .. فالذئاب

تهاجمك سواء كلمتها أم لم تفعل .. الأمر إذن يتعلق بالذئاب البشرية .. والقصة كلها قصة توجيهية إرشادية تقول للأطفال ذات ما كانت أمهاتنا يقلنه لنا .. لا تتكلموا مع الغرباء فى أثناء الذهاب والأياب من المدرسة .. هذا بالطبع لو استبدلنا بجمع الشليك الذهاب للمدرسة ..

على باب الكوخ توقف فى أدب ليسمح لها بالدخول ، ثم قال وهو يتأهب للرحيل :

ـ «لا تنسى لو ضايقك ثانية أن تصرخى كما فعلت اليوم .. اسمى (هانز)»

طبعًا .. كل الحطابين اسمهم (هانز) .. ربما كل الرجال فى قصص (جريم) كذلك ..

دخلت الكوخ الذى لم يختلف كثيرًا فى الواقع عن ما قابلته من أكواخ .. لكن رائحة الشليك كانت قوية بالداخل .. من الواضح أن هذه الأسرة تأكل الشليك فى كل الوجبات ، وتشرب عصيره ، وتشعل به الفرن لو أمكن ..

ثمه امرأة عجوز فى الفراش من الطراز الذى يضع وشاحًا على كتفيه ..

هذه هى الجدة طبعًا ، وهى من المهن النسائية المعروفة فى هذا العالم ..

بصوت واهن ضعيف متعرج تسألها :

- « هل جئت يا ذات الرداء ؟ »

- « جئت يا جدتى »

- « وهل كان يومك طيبًا يا ذات الرداء ؟ »

- « الذئب .. الحطاب .. الروتين المعتاد .. »

- « إذن تعالى واجلسى جوارى .. »

صدعت (عبير) بالأمر فى تردد ، فجلست على بعد متر من العجوز فى إضاءة الغرفة الخافتة .. هؤلاء المسنون الأعزاء يعانون من الحرمان العاطفى دومًا .. كلما شعروا ببرد القبر أكثر كلما طلبوا دفء العلاقات الإنسانية ..

لاحظت (عبير) شيئًا غير مريح فقالت :

- « إن عينيك كبيرتان يا جدتى .. ربما أكبر من اللازم لو أردت رأيى .. »

بصوتها الواهن قالت العجوز :

- « لأراك بهما يا عزيزتى .. »

لا بأس بها إجابة .. لكن ..

- « وأذناك كبيرتان يا جدتى .. »

- « لأسمعك بهما يا حبيبتى .. »

يبدو الأمر مألوفًا بشكل ما .. ولكن أين ومتى ؟ هل هى ظاهرة (ديجافو) التى لا تعرفها (عبير) ؟

- « وأسنانك كبيرة يا جدتى .. »

- « لآكلك بها يا حبيبتى !! »

★ ★ ★

حين صرخت (عبير) ووثبت إلى الوراء ، وحين

كشفت الجدة عن وجهها كان ما رأته (عبير) هو .. (دوروثى فايمان) .. المرأة التى تصر على الظهور حين لا ينبغى فى المكان غير الصحيح ..

صرخت (عبير) من جديد وهى تقف على باب الحجرة :

- «لابد أنك جننت تمامًا ..»

كانت (دوروثى) تنهض وتخلص نفسها من الغطاء ، بينما تقول فى لهجة اعتذار :

- «آسفة .. آسفة جدًا .. يجب أن يتخفى المرء فى هذا العالم ، فلا يمكنك الثقة بأحد كما تعرفين .. كان يجب أن ألقاك على انفراد ..»

- «وجدتى ؟ هل ماتت ..»

- «هى بخير وتنام فى الغرفة الأخرى ..»

- «وما سر هذه اللعبة السخيفة ؟»

- «أردت أن أداعبك على طريقة القصة ، لكن ما سأخبرك به فريد من نوعه تمامًا ..»

- «لقد حان الوقت ..»

وفتحت (دوروثى) فمها لتتكلم ، هنا سمعت (عبير) صوتًا قويًا ..

كانت الأرض ترتج بالفعل كأن قطيعًا من ثيران البيسون يركض بالخارج ، لكن لا توجد ثيران بيسون فى ألمانيا .. على الأقل فى (شفالمشتان) ..

وفى اللحظة التالية اقتحم الحطاب المكان وهو يعوى ، حاملاً الفأس التى تقول بوضوح : إن الويل قادم ..

تراجعت (دوروثى) بسرعة لا تتناسب وسنها ، ووثبت من النافذة ، بينما هوى حد الفأس على مسافة خمسة سنتيمترات من ساقها .. وصرخت (عبير) :

- «لا تفعل ! إنها بريئة !»

- «إذن لماذا صرخت ؟»

وهوى بالفأس على النافذة هذه المرة ، عالمًا أنه لن يصيب شيئًا ..

أخيرًا ساد الهدوء واستطاعت (عبير) اللاهثة أن تتكلم ..

قالت له وهى ترتجف :

ـ « المرأة بريئة .. أنت رأيت أنها ليست ذئبًا على الإطلاق .. »

ـ « هناك ذئاب وذئاب .. المرأة الثرثارة أخطر من أى ذئب .. »

ثم وضع الفأس جانبًا .. واتجه إلى المنضدة الموضوعة فى مدخل الكوخ واسترخى فى مقعده ، وأراح قدميه المدفونتين فى حذاء ثقيل ذى رقبة على المنضدة ، وقال فى غلظة :

ـ « أعدى لنا شيئًا نأكله ! »

قالت فى حرج :

ـ « أولاً مرحبًا بك .. ثانيًا ليس لدى ما يؤكل عدا الشليك .. ثالثًا أنت انتهيت من مهمتك ولسوف أكون لك شاكرة لو رحلت الآن .. »

ـ « هكذا يكون العرفان بالجميل ؟ »

كانت قد بدأت تشعر بقلق .. هذا التبسط ورفع الكلفة ليسا مما يريحانها ..

هنا قال وهو يعود للاسترخاء فى المقعد :

ـ « الفكرة أننى وجدتك فى أمس الحاجة إلى رجل قوى يعنى بهذا البيت ، وأنا بحاجة إلى بيت مريح وامرأة تجيد الطهى .. »

هذا إذن ما يريد .. الاستيلاء على البيت ومن فى البيت ..

هنا حدث شىء غريب ..

من النافذة وثب الذئب الذى قابلته فى الغابة اليوم .. وقبل أن يفهم الحطاب شيئًا كان الاثنان قد التحما فى صراع عنيف ، ولما كانت المفاجأة فى جانب الذئب ، فإنه لم يجد صعوبة فى أن ينشب أنيابه فى عنق الحطاب ..

كان الصراع عنيفًا قاسيًا لكنه انتهى سريعًا بجثة حطاب غارقة فى الدماء ..

وتراجعت (عبير) فى رعب ممسكة بالفأس وصاحت وهى تتراجع للوراء :

ـ «ليكن .. أنت ربحت .. لكنى لن أكون فريسة سهلة .. »

قال الذئب اللاهث وهو ما زال يجلس على الأرض يلتقط أنفاسه :

ـ «دعى هذا السلاح فقد يؤذيك .. »

ثم مسح خطمه بكمه وقال :

ـ «مشكلتك أنك تصدقين القصص الخيالية حيث يكون الأخيار جميلين كالزهور ، ويكون الأشرار شديدى القبح .. خيالك لا يسمح لك بتخيل أن يكون هناك ذئب طيب القلب أو شهم .. »

ـ «نعم .. لا أتخيل .. »

ـ «أنا هو ذلك الذئب .. الذى أضناه الفقر وأضنته

الوحدة .. ثم وجد نفسه أمام مخلوقة رقيقة تجمع الشليك .. حاولت الكلام معها لكنها فرت .. كالعادة فرت لأننى أحمل هذه الملامح المريعة .. »

ـ «لا أصدق .. »

ـ «بل أسوأ من هذا .. هل تعرفين أنهم قالوا إننى أرمز إلى الشعب اليهودى ؟ تصورى هذا ! قال دعاة الرايخ إن ذات الرداء الأحمر هى ألمانيا وأن الذئب الذى يريد التهامها هو الشعب اليهودى .. طبعًا هذا لم يخطر للأخوين (جريم) قط ، لكن القصص دفعت الثمن باهظًا .. لقد اتهموها بالنازية ومعاداة السامية وحوربت فى أوروبا كلها .. »

«فيما بعد صرت أرمز إلى النازية التى تريد التهام الشعب اليهودى البرىء الذى لا هم له إلا جمع الشليك .. وهكذا استعادت قصتى شعبيتها وصارت رائجة بقدرة قادر .. أى أن كل طرف يفسر القصة حسب مصالحه .. »

ثم نهض واتجه نحو الباب وقال دون أن يلتفت إليها :

ـ « الحطاب لم يكن ملاكًا .. وأنا لست شيطانًا .. هذا عالم يحتاج إلى الحذر ومراجعة المفاهيم .. أتمنى لك حظًا سعيدًا فى رحلتك نحو الشمال .. »

صاحت تناديه :

ـ « إلى الشمال أين ؟ »

ـ « أعتقد أن (سابادورج) هى محطتك التالية .. من هذه اللحظة سيكون طريقك سهلاً .. تتبعين نهر (فيسر) نحو الشمال .. سلام .. »

واختفى الذئب الشهم ..

ومعه عرفت (عبير) أن مغامرتها هنا قد انتهت ..

* * *

8ـ الجمال النائم ..

حتى اليوم فى شمال (كاسل) ، توجد قلعة الأميرة النائمة فى (سابادورج) .. السياح يعرفونها ويزورونها ..

يمكنك أن ترى القلعة الشامخة وسط الضباب تحيط بها غابة سنديان سحرية .. وتقوم القلعة فوق تل ، يجعل المشهد لا يصدق حين يكتمل القمر وتلتمع الفضة على جدرانها وأبراجها ..

هناك يوجد مطعم صغير يقدم وجبة شهيرة تتكون من حساء الغزلان ولحم الجاموس وسمك الترويت الطازج ، ثم يصعد السائح إلى غرفته لينام فكأنه الأميرة التى نامت مائة عام كاملة ..

وكانت (عبير) الآن متجهة إلى (سابادورج) غير عالمة ما ينتظرها ..

* * *

جلست تحت شجرة وراحت تدون الملاحظات كى لاتنساها :

ـ «من جديد أجد فارقًا كبيرًا بين العالم كما أراد الأخوان (جريم) وصفه للأطفال ، وبين الحقيقة المريرة .. هنا أقزام أشرار وحطابون أوغاد وذئاب وادعة وأمراء لا يتذكرون حبيباتهم أكثر من ثلاث دقائق .. ثم تلك المرأة التى لا محل لها من الإعراب ، والتى تتواجد فى كل مكان وتخرج من كل صندوق مغلق : (دوروثى) .. ما زالت رحلتى طويلة لكنى بدأت أشك فى أن هذا العالم مجرد مخدر جميل .. »

وأغلقت المفكرة ، ونظرت إلى الأفق ..

هناك كانت القلعة جاثمة وحدها وسط الضباب ..

كل القلاع مخيفة ، لكن هذه كانت تحمل طابعًا لايوصف من التوجس .. الضباب المحيط بها والصمت كما خلقة الله .. لاطير يحلق ولا سنجاب يتواثب ..

لاشىء ..

نهضت ومشت فى رفق عبر الطريق المتعرج الذى يقود إلى القلعة والذى تحيط به هاوية عن اليمين واليسار .. هكذا يجب أن تكون أية قلعة تحترم نفسها ..

كان هناك باب معلق من النوع الذى يهبط ويرتفع من أعلى .. ولكنه كان فى وضع الهبوط .. وفى النهاية كان باب عملاق من السياج الحديدى مرفوعًا ليكشف لها عن قلب القلعة ..

دخلت كأية حمقاء أخرى إلى الظلام ..

كل شىء يدل على أن هذه القلعة مهجورة منذ أعوام طوال .. ربما مائة عام .. وهو رقم صحيح بالفعل لو كنت تذكر القصة ..

فى الداخل رائحة الظلام والعطن ونسيج العنكبوت .. المشاعل مطفأة والسلاسل صدئة والتراب ارتفاعه ربع متر على الأقل ..

تمشى بين الممرات .. كأنما تبحث عن شخص حى ، والحقيقة أنها لو قابلت شخصًا حيًا لسقطت ميتة من الرعب ..

هنا مجموعة من الدروع الواقفة .. كأنها حرس من الأشباح ينتظرها ..

تمشى بينها وقد بدأت تهدأ قليلاً عندما ..

- «آهههههههههههه!!»

كذا صرخت ووثبت إلى الوراء مترين وفى الهواء مترًا ، عندما تحرك ذلك الشبح بين الدروع ومد يده لها ..

- «اخرسى يا بلهاء ! هل تحتاجين إلى مكبر صوت ؟»

- «أنت من جديد ؟ أنت كالكابوس الذى لاينتهى ..»

قالت (دوروثى) وهى تمسكها من معصمها على سبيل التهدئة :

- «لى معك كلمتان ، لكنى لا أستطيع أبدًا أن أجد الوقت المناسب كى أقولهما .. أنت صحفية كما نعرف .. وأنا مصدر معلومات بالغ الأهمية .. اسمى هو (دوروثى فايمان) ..»

- «تشرفنا .. لقد سمعت هذا الاسم أكثر مما سمعت اسمى أنا ..»

- «أنا أعرف كل شىء عن الأخوين (جريم) .. لكن لو عرفا أننى أعبث هنا فلسوف يكون ..»

هنا تعالى صوت المغزل من القاعة المجاورة ، فاجفلت (دوروثى) وابتلعت ريقها :

- «لن أستطيع .. هناك شخص ما .. يجب أن أرحل ..»

قالت (عبير) فى غيظ :

- «لماذا لا تختصرين فتريحين وتستريحين ؟ يمكن تلخيص كلامك فى أربع كلمات ..»

ضحكت المرأة فى خبث ، وقالت :

- «ألخص حياتى كلها فى أربع كلمات ؟ أنت كريمة حقًا يا بنية .. وداعًا !»

ثم توارت فى الظلام ، بينما تعالى صوت المغزل من القاعة المجاورة ..

فى فضول مشت (عبير) ـ كأية بطلة قصة حمقاء ـ إلى مصدر الصوت ..

وكان ما رأته هو امرأة عجوز جالسة على الأرض ، منهمكة فى إدارة مغزل وقد بدت عليها المعاناة والتعب ..

الحقيقة أنك تتعلم بسهولة فى قصص (جريم) أن عليك أن تتحاشى النسوة العجائز خاصة الشمطاوات منهن .. لكن (عبير) ليست بهذه الحكمة طبعًا ..

دنت من المرأة ونظرت فى توجس إلى هذا الذى تقوم به ..

قالت العجوز وكأنما أحست أن هناك من يراقبها :

ـ «هذا مجهود عنيف يا بنيتى .. مجهود لايناسب عمرى على الإطلاق .. »

تساءلت (عبير) عن سر هذه الحماسة للغزل فى قلعة لايبدو أن أحدًا قد دخلها منذ قرن .. إن للناس هوايات عجيبة حقًا ..

جلست جوارها .. كانت تحب النسوة العجائز طيلة حياتها .. وكانت تجد فى وجوههن المتغضنة مذاق تلك الحكمة الجميلة التى لم يعد وقت كاف لنقلها إلى الآخرين ..

وبشهامة حقيقية عرضت على العجوز أن تساعدها ..

ابتسمت المرأة وناولت المغزل لـ (عبير) وهى تلقنها كيفية استعماله .. كان مغزلاً من تلك المغازل المغزلية التى تراها دومًا مع (غاندى) فى الصور .. وقد حاولت (عبير) أن تفهم من المرأة كيف ..

آى !!

الآن تذكرت .. تذكرت وكفها الجريحة تسيل منها الدماء على الأرض ..

* * *

ذكريات متضاربة لا تقدر على استيعابها جميعًا ، لكن هناك حفلاً ومولودة جديدة للملك .. ثلاث ساحرات طيبات .. ساحرة شريرة لم تدع إلى الحفل ..

الساحرة حاقدة متضايقة .. الساحرة تدخل الحفل

وسط النيران الخضراء المرعبة .. تقدم للطفلة نبوءتها : إنها ستكبر وتصير جميلة لكن جرحًا فى يدها سوف يجعلها تنام نومًا أبديًا ..

الآن واضح أن الساحرة الشريرة نفذت وعيدها حرفيًا .. وقد دخلت (عبير) القلعة فقط لتدمى كفها .. وهى الآن تشعر بنعاس غير مسبوق ..

هناك من يضحك تلك الضحكة الشريرة التى تجيدها الساحرات ..

لكنها لاتعرف من ومتى .. كل ما تريده الخروج من هنا ..

تتحامل على نفسها حتى تصل إلى الدرج .. تتسلقه وهى تستند إلى الجدار ..

ثمة غرفة نوم مفتوحة .. يبدو أنها موجودة فى أحد ضلوع القلعة .. ذلك الجزء الذى يشبه الطابية .. ثمة فراش خال منسق ، وستائر تتطاير فى نعومة من النافذة ، كأنما هى دعوة صامتة لها كى تنام .. تنااااام ..

« الغابة مظلمة هادئة .. لكن هناك مواعيد يجب أن أحفظها وأميالاً يجب أن أقطعها قبل أن أنام .. »

من قال هذه الأبيات ؟ هى لاتعرف بالطبع أنه الشاعر العظيم (فروست) .. تعرف فقط أنها ستتمدد فى الفراش وتغمض عينيها ..

ربما للأبد ..

* * *

لكنها لم تنم فعلاً ..

لقد ظلت بشكل ما تعى ما يدور حولها .. كأنما هى فى تلك الغيبوبة مفتوحة العينين التى يسمونها Coma Vigil .. صحيح أنها نامت كثيرًا جدًا ، لكنها كانت تسمع كل همسة وترى كل شبح فى الغرفة .. تشعر بتتابع الليل والنهار ، وتحس البرد والقيظ ..

ترى هل مرت عليها ساعات أم قرون ؟

عسير أن تعزف ..

لكنها إذ سمعت صوت الفرس بدأت تفطن إلى أن هناك بشرًا ..

ثمة صوت حوافر حصان ، ثم صهيل قصير ، ومن يأمر الحصان أن (ش ش ش ش !) ..

كانت مغمضة العينين ممددة فى الفراش .. برغم كل ما مر عليها من أعوام تبدو كأنها نائمة .. لم تتعفن بالطبع ولم تتآكل لأنها كما قلنا حية .. لو كانت هذه القصة من قصص الرعب القوطى ، لقلنا إنها (غير ميتة Undead) .. لكن المشهد الآن أقرب إلى العذوبة منه إلى خيالات الرعب ..

لو أنها رأت نفسها لسرها ما ترى .. تبدو فى قمة جمالها ، بينما الستائر تتطاير فى نعومة مداعبة وجهها ، وكل المشهد يوحى بالسلام النفسى ..

إن أميرها قادم .. الأمير الذى انتظرته قرنًا كاملاً ، وهو الذى سيزيل السحر .. سيكون بوسعها أن تنهض وتكمل القصة ..

ترى كيف يبدو ؟ لا يهم كيف يبدو .. فقط ليكن حصانه أبيض .. هذا هو أهم شىء فى القصة كلها .. يحظر على أى أمير يستعمل حصانًا غير أبيض ، ومن يخالف هذا يعاقب بالسجن والغرامة ..

تسمع صوت الخطوات ..

إنه يقترب .. تعال يا أحمق .. أنا هنا ..

أحسنت .. أنا إلى اليمين قليلاً .. نعم .. هذا المدخل .. لا بأس ..

إنه يقف الآن جوار الفراش .. لابد أنه سيصاب بالرعب للحظة ثم يدرك كم هى رقيقة جميلة ..

هنا حدث أغرب شىء فى العالم ..

فى البداية أطلق سبة ألمانية بذيئة .. ثم قال فى مزيج من الحقد والجشع :



من أعلى ومن بين الستائر رأت الرجل .. لم يكن أميرًا وسيمًا بالتأكيد ، بل هو وغد ..

ـ «حتى الجثث أكثر ثراء منى ! ماذا تفعلين بهذا العقد الثمين أيتها الحدأة الميتة ؟»

لقد مد يده وانتزع العقد المحيط بعنقها ثم غادر الغرفة !

ما معنى هذا ؟

هنا فقط وجدت (عبير) أن الحركة صارت ممكنة .. لقد زال السحر .. لكن ليس بفعل الأمير الوسيم ولكن من الغيظ والذهول .. وجدت أنها تستطيع المشى إلى النافذة .. بصعوبة استطاعت ذلك .. وكانت النافذة على ارتفاع عشرة أمتار عن الأرض ..

من أعلى ومن بين الستائر رأت الرجل .. لم يكن أميرًا وسيمًا بالتأكيد بل هو وغد .. وكان يبصق بإفراط لا يناسب فرسان الأحلام على الإطلاق .. أما حصانه فكان بغلاً أجرب أسود اللون كالشيطان ..

الأهم أنه كان يحمل صندوقًا من صناديق الكنوز إياها التى تعج بها القصص .. ورأته يضعه على ظهر البغل ، ثم يخرج قنينة من جيبه يجرع منها

جرعة كبيرة ، ثم يبصق ويمسح فاه بكمه .. وينظر لأعلى ثم يعود إلى القلعة !

لص ! هذا هو أمير الأحلام الذى انتظرته كل هذه الأعوام .. والأسوأ أنه سارق جثث !

كانت قد حزمت أمرها .. غادرت الغرفة ثم مدت أصابعها فى شعرها فنكشت خصلاته مثلما كانت تفعل تلك المرأة المجنونة فى جارتها .. ثم بدأت تهبط فى الدرج وقد ساعدت الخطوات المتصلبة على جعلها تبدو ككابوس .. مدت أناملها أمامها كأنما تريد ان تخنق شخصًا وهميًا ، وضغطت بنابها على شفتها السفلى فى جشع ، وراحت تزوم ..

كان اللص قد عاد ليظفر بالمزيد من كنوز القلعة المنسية ، حين لاحظ ظلاً ما آتيًا من أعلى الدرج ..

نظر إلى هناك ليجد الفتاة التى كانت ميتة ، وقد خرجت من الظلال .. وعلى وجهها كل مخايل شيطان يحلم ..

فتح فاه وقال شيئًا .. كما تفعل القطط حين تخاطب العصافير فوق الشجرة بذلك المواء الصامت ..

ـ « تعال .. تعاااااااال ! »

قالتها بصوت كالفحيح وهى تواصل التقدم نحوه .. إن أساليب الرعب القوطى تنجح أحيانًا .. مادامت الأساليب الشاعرية لا تنجح يظل الرعب أكثر فعالية ..

ـ « تعال كى أقودك إلى الجحيييييييييم !! »

وواصلت التقدم ..

ـ « إنهم ينتظروووووووونك هنااااااااك ! »

هنا كان الرجل قد فقد كل تحكم فى جهازه العصبى ، فراح يعوى ككلب جريح ثم أطلق ساقيه للريح .. انزلقت قدمه وهو يركض وربما كسرت .. لكن لم يكن لديه وقت لهذا الترف .. سرعان ما كان قد اختفى عبر الباب ، وسمعت شيئًا يرتطم بالأرض ثم صوت الحوافر المندفعة إذ يفر البغل بحمله ..

وإذ خرجت إلى الشمس التى لم ترها منذ مائة عام ، وجدت أنه تخلص من كل الكنوز التى سرقها كى لا تطارده اللعنة ..

هذه قصة أخرى ليست بالروعة المرجوة ..

لو طاوعت نفسها لأطلقت على هذا المكان اسم (جحيم الأخوين جريم) ..

* * *

9ـ طفلان فى قفص و زمار ينتقم ..
(تعرفون هذه الأمور)

ولم تكن تعرف عن طريقها إلا أن عليها أن تظل قريبة من نهر (فيسر) ..

فلتبق جواره إذن ..

من بعيد ترى بلدة صغيرة .. بلدة مليئة بالكنائس القوطية وأبنية عصر النهضة .. وفى وسط المدينة ترى تمثالاً لفتاة حسناء حافية القدمين ، تحمل فى يدها عصا ملتوية الطرف ، وقد وقفت جوارها إوزة أو إوزتان ..

رأت شابًا بروب أسود يتقدم نحو التمثال ، فيتسلقه ويطبع قبلة على خد الفتاة ، ثم يضع زهورًا عند قدميها ، ويهبط ثانية ..

« طالب دكتوراه آخر ! »

كانت هذه من فلاح ألمانى عجوز يقف يراقب المشهد ، وهو ـ كما قلنا من قبل ـ فلاح ألمانى جدًّا بالشارب والقبعة والغليون و(السلوبيت) وكوز الجعة .. ولما رأى دهشتها قال مفسرًا :

« كل من يحصل على الدكتوراه فى (جوتنجن) عليه أن يطبع قبلة على خد تمثال راعية الإوز .. وهى من بطلات الأخوين (جريم) الشهيرات .. هذا التقليد مستمر حتى القرن الواحد والعشرين ! »

ابتسمت (عبير) للمشهد الطريف ، وواصلت رحلتها ..

كانت الآن تمشى قرب قرية (هاملن) .. هى لاتعرف هذا ، لكنها فى النهاية رأت لافتة عملاقة تحمل اسم القرية ، لكن الطريف فى الموضوع هو أن اللافتة كانت مليئة بالثقوب .. ليست ثقوب الرصاص كما فى مدن الغرب الأمريكى ، لكنها آثار أسنان دقيقة التهمت أطراف اللافتة ..

غريب هذا ..

اقتربت أكثر من القرية فكان ما رأته مخيفًا ..

إن الفئران فى كل مكان .. الأرض مغطاة بعشرات منها ، وتتسلق الجدران وتسقط من الأشجار .. هى لم تر قط وباء فئران ألعن ولا أشد وطأة .. الحقيقة أن ذلك المشهد يتكرر فى فيلم (نوسفيراتو) المخيف للمخرج الألمانى المجنون (هيرتزوج) .. لكن السبب كان أن (نوسفيراتو) ـ وهو من أسماء (دراكيولا) ـ قد وصل إلى القرية ، وهكذا اجتاحها وباء الفئران .. والمقصود طبعًا هو أن خطر النازية يتهدد أوروبا ..

كانت ترتجف رعبًا .. فهى أنثى ، ولم تخلق بعد الأنثى التى تطيق الفئران حتى فى (فانتازيا) ..

كانت هناك طفلة حسناء فى السادسة من عمرها تقف وسط الفئران ، وتحاول أن تحمى ساقيها .. انحنت (عبير) وحملتها على كتفيها ولثمت خدها فى لطف .. ومما سرها أن الطفلة لفت ذراعها حولها فى ألفة كأنما تعرفها منذ قرون ..

- « ما اسمك يا قطعة السكر ؟ »

- « هانا .. »

هكذا بدأت قصة الحب بينهما فى ثوان ..

ووسط ميدان القرية الذى بلغته بصعوبة ، وقف العمدة .. عمدة ألمانى جدًا هو بشاربه الأشقر الكث والفراك الذى يرتديه ، وقد حلى صدره بالأوسمة .. كان يخطب فى الناس واقفًا على منصة عالية تحميه بعض الشىء من الفئران :

- « مشكلة الفئران تزداد حدة يا أهل (هاملن) .. استنفدنا كل الحيل المعروفة للقضاء عليها : السم .. القطط .. المصائد لو كان هنا من يعرف الجواب الصحيح للمشكلة فليتقدم .. »

راح الناس يتقدمون باقتراحات غبية ، وهم لايكفون عن ركل الفئران التى تحتشد حول أقدامهم .. حتى إن الأمهات كن يحملن الأطفال على الأكتاف طيلة اليوم ..

- « ماذا عن إغراق المدينة ؟ نفتح السدود و ... »

- « بخار سام .. عرفت واحدًا يمكنه أن .... »

- « السحر .. ثمة ساحر يمكن أن ... »

- « أنا أستطيع .. »

قائل هذا كان رجلاً رفيعًا طويلاً يعلق مزمارًا تحت إبطه كأنه بندقية ، وعلى كتفيه معطف مكون من عدة رقع بحيث لاتعرف أبدًا لونه الأصلى ..

نظر الجميع باتجاه الصوت .. وعرفت (عبير) من النظرات أنه غريب على الأرجح ..

سأله العمدة فى شك :

- « هل تقول إنك تستطيع ؟ »

- « بالفعل ياسيدى .. ولكن يجب أن نتفق على أجرى أولاً .. »

وشق الزحام حتى بلغ العمدة ، وهمس فى أذنه بكلمات ما جعلت لغد الأخير ينتفخ .. واضح أن الثمن فادح .. لكنه بعد لحظة تردد ثم هز رأسه :

ـ « موافق .. لو فعلت .. »

وأدركت (عبير) من دون جهد أن العمدة لايصدق حرفًا ، وأنه يتعامل بطريقة (خليك مع الكداب لحد باب الدار) أو (آدى الجمل وآدى الجمال) .. أو أى تعبير آخر يروق لك ..

هنا ـ برشاقة ـ أخرج الغريب المزمار من موضعه، وضعه على فمه ..

وسرعان ما بدأت الأنغام تنساب من المزمار .. أنغام ساحرة رشيقة لعوب مراوغة مداهنة ..

والأدهى أن الغريب راح يحرك ساقيه معها فكأنه لايمشى على قدمين وإنما على زنبركين ..

وبدأ الزحام ينفرج ليمكن الرجل الغريب من الخروج ..

وفوجئت (عبير) بأعداد لاتعد ولاتحصى من الفئران تأتى من كل صوب لتتبع الزمار ..

فئران تهبط من فوق أسطح البيوت وتخرج من البالوعات .. فئران تهبط من الأشجار وتنزلق عبر المداخن .. فئران تتلوى من تحت سراويل الرجال وأثواب النساء .. فئران تخرج من التراب وأخرى تثب من بين أحجار الطريق ..

فئران .. فئران .. فئران ..

فئران .. فئران .. فئران ..

فئران .. فئران .. فئران ..

والغريب يتقدم الموكب الغريب وهو مستمر فى العزف ...

الموكب يتقدم والفئران تتزايد .. حتى أكثر الأهالى تشاؤمًا لم يتصور أن كل هذه الفئران فى القرية ..

ـ « إنه متجه إلى النهر ! »

يمشى الغريب مستمرًا فى العزف ووراءه الموكب ..

الناس ينظرون عاجزين عن الكلام ..

أخيرًا يصل إلى نهر (فيسر) ويمشى على الجسر ..

تحاول الفئران اللحاق به .. لكن الجسر لا يتسع لهذه الأعداد الهائلة ، التى راحت تهوى فى اليم .. وبالطبع تغرق ..

لم يتوقف عن العزف لحظة ، وكانت النتائج باهرة على أى صعيد ..

بعد نصف ساعة أو أكثر قليلاً لم يبق فأر فى البلدة .. ولم يبق فأر حيًا على الجسر .. لقد بر الزمار بوعده ..

* * *

من جديد يقف الزمار أمام العمدة من دون فئران هذه المرة ..

- « لقد بررت بوعدى .. تم العمل وبقى الأجر .. »

قال العمدة فى ارتباك حاول أن يخفيه بانبهار وإطراء :

- « أنت كنت رائعًا .. لقد حررتنا من غزو غاشم .. »

- « لهذا أطلب أجرى لو سمحت .. »

- « يمكننا أن نتفاهم .. إن بيننا الكثير من ... »

- « أجرى أولاً لو سمحت .. »

ودارت مناقشة طويلة ، يبدو أن العمدة كان يحاول التملص من العهد الذى قطعه .. يقولون إنه لا أحد يدفع ثمن شىء حصل عليه بالفعل ، ومن السهل أن تبذل الوعود بينما الفئران تلتهم حذاءك ، أما الآن وقد هدأت الأمور وصار بوسعك أن ترى الشارع من جديد .. يبدو المبلغ فادحًا بحق ..

استمر الجدل نصف ساعة ، وفى نهايته صاح العمدة :

- « لن تلوى ذراعنا يا بنى .. إن أجرك غير معقول ومبالغ فيه .. يجب أن تكون معقولاً .. »

نظر له الزمار فى صبر ، ولم يغضب .. المخيف أنه لم يغضب ..

فقط ابتعد وهو يقول فى ثقة :

ـ « ستتسمعون عنى يا أهل (هاملن) .. »

وقالت الطفلة (هانا) لـ (عبير) وقد ترجلت أخيرًا :

ـ « ألم يأمرنا الله بأن نفى بعهدنا وأن نعطى العامل الأجر الذى اتفقنا عليه ؟ »

قالت (عبير) فى رفق وهى تصفف خصلات الشعر الشقراء على رأس الفتاة :

ـ « بلى يا حبيبتى .. لكن العمدة يمارس لعبة اسمها السياسة .. تقوم هذه اللعبة على أن ترتكبى أقذر الأفعال وتقولى أشنع الأكاذيب وتخالفى كل شرع للبشرية .. فقط تفعلين كل هذا وأنت ترتدين الفراك وتبتسمين .. عندها يقول الناس إنك سياسية محنكة ويصفقون لك ويعيدون انتخابك .. »

ـ « هل هى رياضة من رياضات السادة ؟ »

ـ « نعم يا حبيبتى .. فى انجلترا يصطاد السادة الثعالب أو يمارسون السياسة .. »

كان الناس قد بدءوا يتفرقون ، هنا سمعت (عبير) صوت المزمار من جديد ..

★ ★ ★

هذه المرة كان اللحن يختلف بعض الشىء .. لكن النتيجة كانت مشابهة لما حدث من قبل .. الفارق الوحيد هو أن الأطفال بدءوا يخرجون من بيوتهم ويمشون وراء الزمار ..

من كل باب خرج الأطفال .. أطفال يَحْبون أو تعلموا المشى حالاً .. أطفال فى السادسة أو العاشرة أو الثانية عشرة .. أولاد وبنات .. فتية وفتيان ..

كلهم يمشى مسحورًا نحو الزمار الذى لا يكف عن العزف ..

وتصايح أهالى (هاملن) إن شيئًا غريبًا يحدث ، وحاول بعضهم منع الأطفال دون جدوى ..

وفجأة رأت (عبير) أن (هانا) الصغيرة تدير ظهرها لها متجهة إلى مصدر الصوت ..

- «(هانا) .. لا تذهبى ! »

ووضعت يدها على كتف الطفلة .. وهنا شعرت بألم حارق من موضعِ العضة .. لقد كانت أسنان (هانا) اللبنية حادة فعلاً ..

وانطلقت الطفلة لاتلوى على شىء تلحق بموكب الأطفال الذى يتجه الآن إلى خارج البلدة ..

- «ما الذى .....؟»

هنا سمعت صوت امرأة يقول من ورائها :

- « هذا هو انتقام الزمار .. إن أحدًا لن يرى هؤلاء الأطفال أبدًا بعد اليوم !! »

استدارت لترى وجه صاحبة الكلمات .. ثم قالت :

- « (دوروثى فايمان) ! لقد بدأت أقلق عليك بعد ما مرت ساعتان من دون أن أرى وجهك ! »

- « أنا معك دومًا .. »

- « هل تقولين إن هؤلاء الأطفال لن يعودوا ؟ لقد خدع العمدة الزمار ، لكن ما ذنب الأطفال ؟

- « هذا هو الانتقام الجماعى .. »

شعرت (عبير) بالأسى .. لقد ارتبطت بالطفلة تمامًا برغم أن علاقتهما لم تتعد الساعة .. يا لها من قصة قاسية ! وكأنما شعرت (دوروثى) بأفكار (عبير) قالت لها :

- «ليس عالم الأخوين (جريم) جنة (ديزنى) كما ترينها فى الرسوم المتحركة .. لكن للقصة على كل حالٍ أساس تاريخى لابأس به .. لقد عانت (هاملن) فعلاً فى القرون الوسطى من أكثر من وباء فئران .. والسبب أنها تعج بمخازن الحبوب .. أما عن رحيل الأطفال فقد حدث فعلاً عام 1284 حين هرب أطفال كثيرون مع غريب يحمل مزمارًا .. لقد اختلطت القصتان لتصنعا حكاية واحدة .. »

«حتى اليوم فى (هاملن) فى عالم الواقع ، مازال أهل البلدة يحيون هذه الذكرى .. وكل المتاجر هناك تعرض تماثيل وتذكارات من تلك القصة .. »

وكادت تواصل الثرثرة لولا أن رأت على البعد رجالاً قادمين ، فهمست فى أذن (عبير) :

- «لو كنت مكانك لفررت الآن .. هؤلاء من رجال الأمير .. »

ـ «أى أمير ؟ هذا العالم يعج بالأمراء . »

ـ «أمير (سندريللا) الذى اتهمها بالسحر .. لابد أنهم يبحثون عن طعم نيرانهم الذى فر ! »

كان هذا كافيًا لـ (عبير) كى تندس وسط الزحام عازمة على مغادرة القرية ..

توجد ذيول للقصص إذن فى هذا العالم ، وهى التى كانت تحسب كل قصة حكاية متكاملة تنتهى بنهايتها ..

وازدادت نظريتها تكاملاً حين سمعت من يصيح :

ـ « هذه هى !! »

ونظرت إلى اتجاه الصوت المألوف لتجد الأقزام السبعة يركضون نحوها عبر الطريق والشرر يندلع من عيونهم !

ـ « سارقة الذهب !! »

يا للكارثة ! كانت أمامها عربة يجرها حصان عليها كومة عالية من القش .. وقدرت أن الكومة غير متزنة فمدت يدها وجذبتها ، وسرعان ما هوى

القش ليسد الطريق ، بينما وثبت هى لتتوارى وسط الفوضى ..

تركض بين الأزقة المتعرجة .. تركض بين البيوت التى خلت من الأطفال .. تركض ..

ولاتدرى متى ولاكيف وجدت نفسها فى الغابة من جديد ..

وقفت تلهث وتنظر حولها .. إن كل شىء فى هذا العالم يطاردها إذن .. يبدو أنها على رأس قائمة المطلوبين .. ثمة عملاق قادم من بعيد .. ليس عملاقًا من عمالقة القصص لكنه شخص ضخم بما يكفى ، ويحمل حجرًا ثقيلاً ..

هل هذا الحجر مخصص لتحطيم رأسها ؟

لكن نظرة إلى وجه العملاق جعلتها تكف عن القلق .. هذا طفل كبير أزرق العينين الصافيتين .. على وجهه نمش يوحى بالصبا والسذاجة .. نمط العملاق الذى يملك قلب وعقل طفل شائع جدًا حتى إنه صار قاعدة ..

قال لها وهو يلهث من مجهود حمل الحجر :

ـ «أنا (هانز) المحظوظ ..»

ـ «تشرفنا .. وأنا (عبير) المنحوسة ..»

قال وهو يضع الحجر ويجلس إلى جوار جدول ماء :

ـ «عملت بجد خادمًا لسيدى عشرين عامًا ، من ثم أعطانى بقرة مكافأة لى عندما قررت العودة لقريتى وأمى ..»

نظرت حولها فلم تر بقرة .. وكأنما فهم ما تبحث عنه قال :

ـ «فى الطريق أقنعنى فلاح بأن أستبدل بالبقرة خروفين ، فهما يصلحان كى يكونا قطيعًا فيما بعد ..»

ـ «لا أرى خرافًا هنا ..»

ـ «مشيت بالخروفين فقابلنى راعى خنازير أقنعنى أن خنزيرًا سمينًا يفيد أمى أكثر ..»

ـ «وأين الخنزير ؟»

ـ «أقنعنى مربى إوز أن أستبدل به إوزة سمينة لتطهوها لى أمى الليلة ..»

ـ «إذن أنت أكلت الإوزة ؟»

ـ «لا .. استبدلت بها دجاجتين بياضتين لأفطر بالبيض كل صباح ..»

ـ «وأين الدجاجتان ؟»

ـ «أقنعنى رجل ممن يسنُّون المدى أن أستبدل بهما هذا الحجر .. إنه ممتاز ويصلح لسن المدى عليه .. هكذا ضمنت مستقبلى ومهنة المستقبل ..»

ـ «أنت رجل عبقرى ..»

وهنا ضحك العملاق كثيرًا .. ضحك فارتجت الأرض وحرك ردفه فانزلق الحجر الثقيل ليسقط فى اليم .. نظرت له (عبير) فى جزع ، وتوقعت أن يفعل شيئًا لكنه قال :

ـ «لا أعرف السباحة .. لكنى برغم هذا سعيد ..»

ـ «والسبب ؟»

نهض ومسح بيديه الغليظتين على صدره العريض كأنما يفسح للهواء مجالاً أكبر وهتف :

ـ «لقد تخلصت من هذا الحجر الغليظ الذى كاد يحطم ظهرى .. هنيئا لى ! إننى فعلاً لسعيد الحظ !! » :

ثم انطلق مبتعدًا وهو يتراقص طربًا ..

راحت (عبير) تتابعه بعينيها غير مصدقة .. هذا الفتى يلخص كل شىء .. الساذج البسيط حسن النية فى عالم قرر كل من فيه أن يتحولوا إلى نصابين وأوغاد .. لكنه على الأقل لايعرف هذا .. إن غباءه قد وقاه من معرفة الحقيقة المريرة .. وكما يقول الشاعر : « مأساتك أنك تدرك مأساتك .. » .. فمن لم يدرك مأساته إنسان سعيد .. ربما محظوظ كذلك ..

★ ★ ★

سألت الفلاح الذى قابلته جوار المحراث ، والذى هو ـ كالعادة ـ فلاح ألمانى جدًا :

ـ « أين أنا ؟ »

قال وهو ينفث دخان الغليون العتيق ، ويشرب من كوز البيرة ، ويدس إصبعه فى حمالة (السلوبيت) الذى يرتديه :

ـ « أنت فى (فردن) يا فتاة .. »

أغرب ما فى قصص (جريم) أنها جغرافية جدًا .. يمكنك أن تتابعها على الخارطة بدقة متناهية .. وفيما بعد قام كثيرون بالمشى فى ذات المسار الذى تقطعه هى ..

لكن ماذا يميز (فردن) من قصص ؟

على الفور تذكرت حين رأت الطفلين يمشيان عبر الغابة .. الفتاة تحتضن دمية ، بينما تقف فى طريقهما امرأة عجوز منحنية وتتكلم معها .. ثم تقتادهما إلى كوخ رهيب صنع من كعك الزنجبيل ..

(هانزل) و(جريتل) .. لاشك فى هذا ..

الطفلان اللذان طردهما أهلهما ففرا إلى الغابة حيث يقعان فى قبضة ساحرة شريرة .. الساحرة تريد التهامهما طبعًا ، لذا تحبسهما فى قفص وتطعمهما بانتظار أن يسمنا بما يكفى للذبح والأكل ..

فى كل يوم تطلب أن ترى إصبع الفتاة لتعرف إن كانت سمنت ، فتخرج لها الفتاة إصبع الدمية ، ومن ثم تقرر الساحرة أن تنتظر قليلاً ..

فى النهاية ينجح الطفلان فى خداع الساحرة والإلقاء بها فى الفرن ، ويفران عائدين إلى أهلهما ..

ـ « لاتتدخلى .. سينجوان .. »

كانت هذه ـ بالطبع ـ (دوروثى) ملاكها الحارس الذى يظهر من حيث لاتدرى ..

قالت (عبير) فى رهبة :

ـ « هذان الأخوان (جريم) كانا يكرهان العجائز بحق .. كل عجوز فى هذه القصص مرعبة بحق ..

ثم إن نصائحهما صارمة بصدد عدم التعامل مع الغرباء .. كانت أمى تقول لى أشياء مماثلة ليس أقلها إن الغرباء سيخطفوننى ويعلقوننى من ساقى فوق وعاء من الماء الساخن ، حتى يسيل الدهن من جسدى ويصنعوا منه مرهمًا ! حتى اليوم أرتجف لهذه الفكرة ، لكننى أتساءل إن كانت هذه بحق أسهل طريقة لصنع المراهم .. تخيلى أن يتجشموا كل هذه المخاطرة من أجل صنع مرهم ! »

ضحكت العجوز قليلاً للفكرة ، ثم أردفت :

ـ « أنت تجدين هذا سخيفًا .. فى الواقع كان من دعائم دعاية اليهود ضد النازيين ومن أركان المحرقة المهمة ، ذلك الزعم بأن النازيين يذيبون اليهود ليصنعوا منهم صابونًا .. وقيل إن ربة البيت الألمانية حين تستحم بصابونة فإنها فى الواقع تتخلص من يهودى فى البالوعة .. والأغرب أن هذا المعتقد مازال سائدًا ، وهناك كثيرون فى أوروبا وأمريكا مازالوا يؤمنون به .. فإن عارضتهم حاكموك بتهمة معاداة السامية .. وبزعم كهذا

ما زالت ألمانيا تدفع التعويضات لليهود اعتذارًا عن الصابون الذى صنعته منهم فى الحرب العالمية الثانية ! »

قالت (عبير) وقد تذكرت قصتها مع (هتلر) :

- « لكن ألا ترين أن هذه الأساليب التربوية مفزعة ؟ أن تحكى للأطفال عن قفص يسجن فيه طفلان بانتظار التهامهما .. »

قالت (دوروثى) :

- « كانت هذه هى أساليب التربية فى الماضى .. كان هناك كتاب فائق الشهرة اسمه (درشتروملبيتر) كتبه دكتور (هنريش هوفمان) .. هذا الكتاب كان مليئًا بالمواعظ المخيفة للأطفال .. مواعظ يمكن تحويلها إلى أفلام رعب ناجحة .. من يرفض الشوربة يمت ويدفن فى قبر عليه طبق الشوربة .. من لا يقص أظفاره تطل وتمتص كل طعامه .. من يلعب بالكبريت يحترق وينشوه .. والكتاب مزخرف بأشنع رسوم يمكن تخيلها .. ليست هذه بالطريقة التربوية

المثلى لكنها فعالة .. ولا تنسى أنك لم تكلمى الغرباء فى طفولتك قط ، حتى لا تتحولى إلى مرهم !! »

نظرت لها (عبير) فى ثبات وقالت :

- « لو تناسينا المرهم والصابون والشوربة قليلاً .. أريد أن أعرف من أنت .. »

- « هذا سهل .. أنا (دور ..... »

- « كفى عن هذا السخف .. أنت تعرفين ما أسأل عنه بالضبط .. »

قالت (دوروثى) فى غموض :

- « أنا صاحبة هذه المملكة الحقيقية ! »

* * *

10 ـ الأخـــوان ..

قالت (عبير) فى غباء :

ـ « عم تتحدثين بالضبط ؟ »

قالت (دوروثى) وهى تمسك بيد (عبير) فى رفق ، وتقتادها إلى طريق بين الأشجار :

ـ « فى هذا الكوخ تعرفين كل شىء .. لقد حاولت أن أتحاشى الظهور ، فليس هناك من يرحب بى هنا ، ثم وجدت أن عليك أن تعرفى الحقيقة .. كل الحقيقة .. ولاشىء إلا الحقيقة .. »

كان كوخًا عاديًا من تلك الأكواخ التى يعج بها هذا العالم .. كوخ كأنه جزء لايتجزأ من هذه القصص ، ويصلح لأى شىء .. قد تلقى فيه ذات الرداء الأحمر أو تجد الجدة ، أو ربما يقف الذئب ينفخ محاولاً أن يهدم المكان على رءوس الخنازير الصغيرة .

قرعت (دوروثى) الباب فجاء من الداخل صوت ثابت يقول إن بوسع القادم أن يدخل ..

فتحت الباب الثقيل ، وكان أول ما رأته (عبير) هو منضدة ثقيلة من الخشب عليها كومة من الكتب .. ثم استطاعت أن ترى الشابين الجالسين إلى المنضدة .. أحدهما منهمك بالكتابة ، والآخر يقرأ فى نهم بعض الأوراق الصفراء ..

قال الذى كان يكتب :

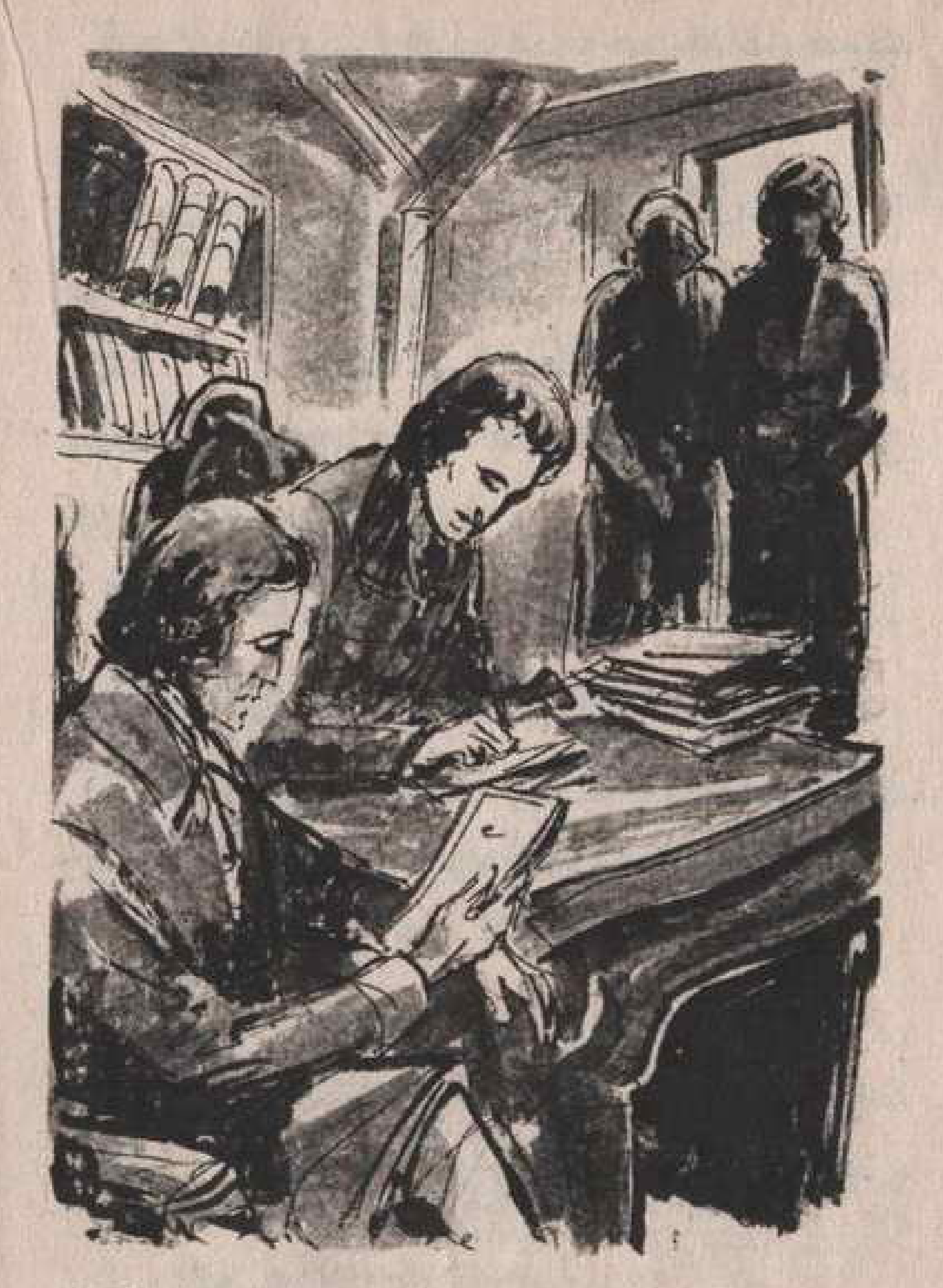
ـ « (دوروثى) .. قلت لك إن أحدًا لايرحب بك هنا .. »

لم تبد العجوز اهتمامًا ، وبثقة لاحد لها دخلت وجذبت مقعدًا لتجلس عليه (عبير) ، ثم اختارت هى موضعًا على الأرض جوار المدفأة .. وقالت :

ـ « صه يا (جاكوب) .. إن الآنسة صحفية ، وليس هذا خير وقت لنشر غسيلنا القذر .. »

ثم أشارت إلى الشابين وقالت لـ (عبير) :

ـ « أقدم لك الأخوين (جريم) .. »



وكان أول ما رأته (عبير) هو منضدة ثقيلة من الخشب عليها كومة من الكتب .. ثم استطاعت أن ترى الشابين الجالسين إلى المنضدة ..

فى انبهار نظرت لهما (عبير) غير مصدقة .. كانا شابين عاديين فى ثياب العصر ، لايمكن أن ترى فيهما قبحًا مميزًا أو جمالاً مميزًا .. لكن أحدهما ـ المدعو (جاكوب) ـ كان على شىء من الصرامة وحدة الطبع كما بدا من نظراته ، أما الآخر فكان أكثر رهافة ورفقًا ..

ـ « هذا العصبى هو (جاكوب) .. أما هادئ الطباع فهو (فلهلم ..) »

هز (فلهلم) رأسه فى رفق ، وقال لـ (عبير) :

ـ « تشرفنا يا آنسة .. هل استمتعت فى عالمنا الساحر ؟ »

قالت (عبير) فى خجل ، وهى لاتصدق ما يحدث بعد :

ـ « لم أر كل شىء .. »

ـ « ولن ترى كل شىء .. لقد كتبنا 210 قصة لايمكن أن تزعمى أنك تعرفينها جميعًا .. جمعناها فى كتاب اسمه (حكايات الأطفال والأسرة) .. وقد صدر عام

1812 .. ونجاح الكتاب ساحق إلى حد أنه صدر بـ 160 لغة .. بل إن هناك حديقتين موضوعيتين Theme Park فى اليابان خصصتا لقصصنا .. »

قال (جاكوب) فى برود وهو ينظر إلى العجوز :

ـ « طبعًا أنت قابلت زوجة الخياط وتكلمت معها .. أتكلم عن (دوروثى فايمان) .. »

قالت (عبير) :

ـ « لم أجد لذلك فرصة .. إنها متخصصة فى بدايات الجمل المبتورة .. »

قال (جاكوب) وهو يغلق الكتاب العملاق الذى كان يقرؤه :

ـ « هذه المرأة تدعى ببساطة أنها هى من صنعنا .. وأنها ملهمتنا رقم واحد .. كنا قد عرفناها فى (كاسل) وهى زوجة خياط تنحدر من أصل فرنسى .. وقد حكت لنا بعضًا من القصص الشعبية التى قصصناها فى كتابنا الشهير . المؤسف أنها

نالت قسطًا لا بأس به من الشهرة بفضلنا . وقد صار بيتها فى (كاسل) مزارًا سياحيًا مهمًا ، وحتى اليوم تلبس حفيدتها قلنسوتها وتقابل السياح لتحكى لهم قصصًا .. »

وتدخل (فلهلم) قائلاً :

ـ « لو كان لكل مصدر من مصادرنا الحق فى أن يتفاخر بأنه هو من صنعنا ، لما صار فى هذا العالم موضع قدم .. »

وفهمت (عبير) ما يريد الأخوان قوله .. إنهما استقيا الحكايات من أفواه عشرات الفلاحين والخادمات و ... و ... ثم طوراها وصنعا منها ذلك المزيج الساحر .. ذات مرة جلس العالم النفسى المصرى (يحيى الرخاوى) يسجل حكايات خادمة صغيرة أمية عمرها اثنا عشر عامًا .. وكانت القصص غريبة تتمتع بأصالة غير عادية : المعلم الغول الذى يلتهم طلبته الذين يأتون للصف مبكرًا .. الرجل الذى أكل من التفاح الذى يجعل النساء حوامل ، ومن

ثم أنجب من بطن ساقه فتاة بارعة الحسن .. ووجد العالم أن هذه القصص تصلح نواة للتطوير والتشذيب لتنضم إلى تراث الأدب الشعبى العالمى بجدارة تامة ..

قالت (دوروثى) فى عصبية :

ـ « هل لو اتخذ كاتب شهير قصص خادمة أساسًا لأعماله .. يمكن أن تعتبره لصًا ما دام لم يشر إلى المصدر ؟ »

قال (جاكوب) فى عصبية مماثلة وإن كانت أعلى قليلاً :

ـ « إن الكاتب يدخل هذه المواد الخام إلى خلاط خاص .. يضيف النكهة والمذاق والرائحة .. يجمل .. يشذب .. فى النهاية يخرج عمل متقن متكامل لا علاقة له بالهراء الأول .. ولو لم نكن نحن لماتت قصصك على الفور ، ولما كان العالم كله يعرف ذات الرداء الأحمر والأقزام السبعة وسندريلا وزمار (هاملن) .. »

هنا بدأت (عبير) تفهم لماذا اتهم المفتش الأخوين (جريم) بعدم الأصالة .. إن كل قصة مما كتبا لها أساس ما لدى الفلاحين أو فى حكايات (دوروثى) .. لكن لو تمسكنا بهذه القاعدة لاتهمنا (شكسبير) بأنه أكبر لص فى التاريخ .. فهو لم يكتب قصة أصلية قط .. كان يحكى التاريخ بطريقته الخاصة ، أو كان يطور قصصًا سابقة لم تكتب لها الشهرة ..

قالت (عبير) للفتى الأرق حاشية (فلهلم) :

ـ « هل لك أن تحكى لى مسار حياتكما كى أستطيع الحكم ؟ »

قال وهو يضع القلم جانبًا :

ـ « ليكن .. لكن لا تقاطعينى من فضلك .. »

★ ★ ★

وللقراء الذين يكرهون التفاصيل ، أقول إن الفقرة التالية كلها تفاصيل .. أنا أراها مهمة جدًا .. بل هى ما يبقى من كتيب كهذا ، وهى السبب الأساسى لكتابته ..

لكنك على كل حال لن تفقد سياق القصة لو ذهبت لتفتح الباب كى يدخل القط ، أو تتأكد أن الماء لم يجف من براد الشاى على الموقد .. دعك ـ بالطبع ـ من فرصة دخول الحمام الذهبية .. أراك فيما بعد على خير ، بعد انتهاء هذه الفقرة ..

قال (فلهلم) :

ـ « ولدنا فى بلدة (هاناو) قرب (فرانكفورت) .. أنا أصغر من (جاكوب) بعام وقد ولدت عام 1786 .. كان لنا أربعة إخوة ماتوا جميعًا فلم يبق سوانا لأبينا المحامى .. ولسوف تجدين نصبًا تذكاريًا يمثلنا فى ساحة البلدة ، لكن بيتنا قد تهدم للأسف فى أثناء غارات الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية .. »

ـ « عام 1791 ارتحلنا إلى (شتيناو) .. نفس الطريق الذى مشيته أنت وأنت قادمة إلى هنا .. وهناك صار أبى قاضى البلدة .. كانت (شتيناو) هى الحقبة الشعرية من حياتنا ، وفيها تعلمنا معنى الخيال ومعنى سحر القصص الشعبية ..

ـ « كان المفترض أن ندرس القانون ، لكننا لم نجد أننا مهتمانِ به على الإطلاق . وعام 1805 قررنا أن ما نريده حقًا وما نحلم به هو دراسة التراث الشعبى .. واخترنا (كاسل) كى نبدأ فيها ..

ـ « هناك فى (كاسل) أدركنا أن الأدب وهذه القصص على وشك أن تموت فى صدور الشيوخ .. كانت هذه خسارة مروعة لو حدثت .. لهذا انطلقنا فى كل مكان نسمع قصص الفلاحين وخاصة مصدرنا الأهم .. تلك المرأة (دوروثى فايمان) التى عرفنا منها قصة (سندريللا) من بين عشرات القصص الأخرى .. هناك امرأة تدعى (مارى) سيكتشف النقاد دورها فى سبعينات القرن العشرين ، وهى من أخبرتنا بقصص (ذات الرداء الأحمر) و(سنووايت) و(الجمال النائم) ..

وفى العام 1812 أصدرنا كتابنا الشهير ..

ـ « عام 1830 ظفرنا بوظيفتين فى جامعة (جوتنجن) .. أنا تزوجت ورزقت بأطفال ، لكن (جاكوب) لم يفعل .. كان بطبعه أعزب جادًا صارمًا

وقد اهتم أكثر بتراث اللغة الألمانية وتأليف القواميس ، وله نظرية مهمة فى اللغة الألمانية تدعى (نظرية جريم) .. لاتنسى أن تمثال راعية الإوز مازال فى (جوتنجن) وعلى من يحصل على الدكتوراه أن يطبع قبلة على خده ..

- « عام 1837 حدثت مشاكل سياسية فاضطررنا إلى ترك الجامعة وعدنا إلى (كاسل) ثم اتجهنا إلى برلين ، وهناك أمضينا حياتنا فى تنقيح القصص ودراسة اللغة الألمانية ..

- « الحقيقة أننا غيرنا الكثير فى القصص لتكون مناسبة للأسرة .. لم تعد أم (سندريللا) هى الشريرة ولكن زوجة أبيها .. لم تعد راعية الإوز توضع فى برميل ملىء بالمسامير لعقابها .. لم ترغم زوجة أب (سنوهوايت) على ارتداء حذاء حديدى ساخن لدرجة الاحمرار ..

- « الخلاصة أن القصص حين انتهينا من تنقيحها صارت نموذجًا للترفيه المنزلى الحق .. »

* * *

سألته (عبير) :

- « والتفسيرات التى ترى أن قصصكما غير أخلاقية ؟ والكلام عن ميولكما النازية ؟ »

قال (جاكوب) فى اشمئزاز :

- « هذا هو التذاكى بعينه .. إن علم النفس الفرويدى عميق كأخدود ، لكن بعض العلماء النفسيين يسيئون استخدامه ويطبقونه على كل شىء مهما كان بريئًا .. إفساد البساطة .. هذا هو همهم الأوحد .. ونفس الشىء ينطبق على تهمة النازية .. أنت تعرفين الصهاينة خيرًا منا .. »

نظر لها (جاكوب) فى عمق ، ثم سألها وهو يفتح كتابه :

- « ماذا ستكتبين عنا فى مقالك : أديبان ملهمان ؟ لصان لايختلفان عن لصوص الغسيل ؟ باحثان جادان ؟ »

نظرت خارج النافذة .. إلى الحقول الخضراء والطواحين التى لاتكف عن الدوران والفلاحات موفورات الصحة .. وهتفت كمن تحلم :

ـ « عن الفلاح العادى سأكتب .. عن الأمهات المسنات الجالسان جوار أسرة أبنائهن .. عن ذلك العبقرى الذى كتب (ألف ليلة وليلة) و(روبن هود) و(أبو زيد الهلالى) .. عن الذى لا اسم له .. أنتما شيدتما صرحًا عظيمًا لهذا البسيط المنسى ولآلاف البسطاء المنسيين .. لكنكما لم تكتبا حكايات (جريم) .. لقد وجدتماها فى مكان ما بين هذه الفيافى ووسط هذه الأكواخ .. »

قالت (دوروثى) فى ضيق وهى تضع قبضتيها فى خصرها :

ـ « وأنا ؟ ألا يوجد لى مكان وسط هذا كله ؟ أم أن الشهرة فقط للسادة ؟ »

ـ « أنت وسواك أصحاب هذا الصرح .. إن الأخوين (جريم) باحثان جادان أبقيا للبشرية حكاياتك أنت وسواك .. لهذا يستحقان الشهرة التى نالاها فى العالم كله .. »

★ ★ ★

وفى الخارج كان زحام عظيم ..

أول من رأت هم الأقزام السبعة ، وقد حمل كل منهم فأسه وارتسمت أمارات الجنون على ملامحه القبيحة أصلاً :

ـ « ها هى ذى ! لقد سرقت ذهبنا ! »

هنا اندلعت نيران خضراء وبرزت الملكة الشريرة حاملة عصاها السحرية ذات النجمة ، وقالت بصوتها البارد الذى يسيل الثلج منه كما يحدث فى القصص المصورة :

ـ « مازالت هناك فتاة واحدة في العالم أجمل منى .. ولكن لن يبقى هذا الوضع طويلاً .. »

ثم ظهر من بين الزحام لص القلعة .. كان يجر بغله الأسود من خلفه وقال وهو يشير إليها :

ـ « تلك النائمة .. لقد خدعتنى وتظاهرت بأنها شبح .. لا أحد يخدع (ميلر) أبدًا .. »

ومن بعيد جاء رجل شرطة يلوح بقيد حديدى ويقول :

ـ « لقد وجدنا جثة الحطاب فى كوخك .. أنتِ ذات الرداء الأحمر بعينها ! »

وتعالى الغبار إذ جاءت مجموعة من الخيول عليها رجال شرطة لايبعث منظرهم الاطمئنان :

ـ « الأمير يريد هذه الساحرة .. لقد أعددنا الساحة لحرقها ! »

صاح الأقزام فى غضب :

ـ « ليس قبل أن نقتص منها أولاً .. »

وقال الحراس :

ـ « الأمير فوق من ذكرت .. »

هنا رفع رجل الشرطة الأوحد يده ، وقال مهدئًا الجموع :

ـ « لا أنت ولا هم ياسادة .. من الجلى أن الجميع يرغب فى قطعة من هذه الشريرة ، وإننى لأرى أن

نمزقها إلى قطع .. كل منا يحصل على جزء .. إنها تملك شيئًا واحدًا على الأقل آذت به كل واحد منا .. »

ـ « الرأى ما رأيت ! »

وصاحت الساحرة الشريرة :

ـ « إن الوجه يناسبنى حتمًا ! سأتسلى بإشعال النار فيه ! »

وصاح الأقزام :

ـ « يدها ! التى سرقت بها ذهبنا ! »

كانت (عبير) تتراجع فى هلع .. ونظرت إلى الوراء فلم تر كوخ الأخوين (جريم) .. لقد اختفى تمامًا .. وكانت ستدخله طالبة اللجوء السياسى .. لا أحد يمكنه السيطرة على هذه الكائنات إلا من قام بابتكارها أو ـ للدقة ـ قام بتخليدها على الورق ..

هنا سمعت الصوت المطمئن يقول :

ـ « معذرة يارفاق .. لن يأخذ أحد شيئًا .. لقد حان وقت عودة الآنسة .. »

تعالت صيحات الاحتجاج وزمجر الجميع .. لكن (المرشد) كان صارمًا كعادته ووضع يده على كتف (عبير) ليخرجها من هذه الفوضى ..

قالت فى انبهار :

ـ « مرشد ! لم أسر قط برؤيتك مثلما سررت اليوم .. أنت تجيد الظهور فى اللحظة المناسبة .. »

قال فى تواضع :

ـ « الإنقاذ فى اللحظة الأخيرة .. أسلوب (جريفث) السينمائى الشهير .. هذا سهل بالنسبة لى .. »

ثم توقف بينما هما يتجهان إلى قطار (فانتازيا) المضحك ، وقال لها وهو يشير إلى الوراء :

ـ « ألم تنسى شيئًا ؟ »

ـ « نعم .. لا أظن أن ..... »

ـ « بل هناك عبارة أخيرة تودعين بها هذا العالم .. فى الإنجليزية يقولون They Lived Happily ever after .. وفى العربية نقول .. »

صاحت فى لهفة :

ـ « نعم .. نعم .. تذكرت .. (وعاشوا فى تبات ونبات ، وخلفوا صبيان وبنات) .. أو بمعنى آخر .... »

توتة توتة ..

فرغت الحدوتة ..

* * *

فى القصة القادمة تخوض (عبير) تجربة مروعة .. الأفيال العملاقة تجتاز الجبال .. والمواجهة المرعبة بين جيوش (هانيبال) و(سكيبيو الإفريقى) .. لا .. لا أتكلم عن آكل لحوم البشر (هانيبال لكتر) طبعًا .. أتكلم عن (هانيبال) آخر .. (هانيبال) الحقيقى !

* * *

تمت بحمد الله



فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيـــال

فى مملكة الأخوين


د. أحمد خالد توفيق

فى مملكة الأخوين يصير كل شىء ممكنًا .. الأحلام حقائق والحقائق أحلام .. ذئاب تتكلم ونمل يثرثر وساحرات يحلقن أمام قرص القمر ..

فى مملكة الأخوين هناك مغزل مسموم وأميرة نائمة وزوجة أب متوحشة .. بيت من الكعك وضفدع كان أميرًا ..

فى مملكة الأخوين ترى (فانتازيا) قبل أن توجد (فانتازيا .. ترى الخيال ولا شىء إلا الخيـــال .. وأهم من هذا كله أنك تراه بعينى (عبير) ..



طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر ٢٥٠ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

القصة القادمة
أيام … نيبال

٢٥/١٢/٢٠٠٢